الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
سلسلة البحوث الإسلامية
(٥٦/٩)

أخلاقنا

تأليف الأستاذ الدكتور

محمد ربيع محمد جوهري

أستاذ العقيدة بكلية أصول الدين بالقاهرة وعميدها السابق
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

الطبعة الأولى
٢٠٢٥م



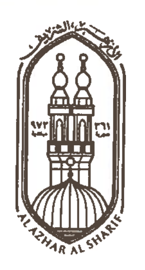
إن مجمع البحوث الإسلامية هو أحد الهيئات العلمية للأزهر الشريف يقوم على تحقيق كل ما يخدم المصلحة العامة للمسلمين، ويجمع كلمتهم، ويعمل على تحقيق الأمن والاستقرار، والتعايش السلمي، كما يعمل المجمع على تحقيق رسالة الأزهر في توعية الناس وتبصيرهم بحقائق هذا الدين، وتصحيح المفاهيم المغلوطة، وبيان سماحة ووسطية الإسلام، وأهمية فهم النصوص الشرعية مع فهم الواقع.

ومن هنا تأتي رؤية المجمع في اعتنائه بقضايا المجتمع الإسلامي؛ لجمع الكلمة بين المسلمين، وتحقيق التعايش السلمي بين الناس، وتجديد الثقافة الإسلامية وتجليتها في جوهرها الأصيل، وبحث القضايا المعاصرة، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.





الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
سلسلة البحوث الإسلامية
(٥٦/٩)





أخلاقنا

تأليف الأستاذ الدكتور
محمد ربيع محمد جوهري
أستاذ العقيدة بكلية أصول الدين بالقاهرة وعميدها السابق
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

السنة السادسة والخمسون - الكتاب التاسع
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

جمهورية مصر العربية
الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
شارع الطيران ـ مدينة نصر
القاهــرة

فِهرست الهيئة المصريَّة العامَّة
لدار الكُتُب والوثائق القوميَّة

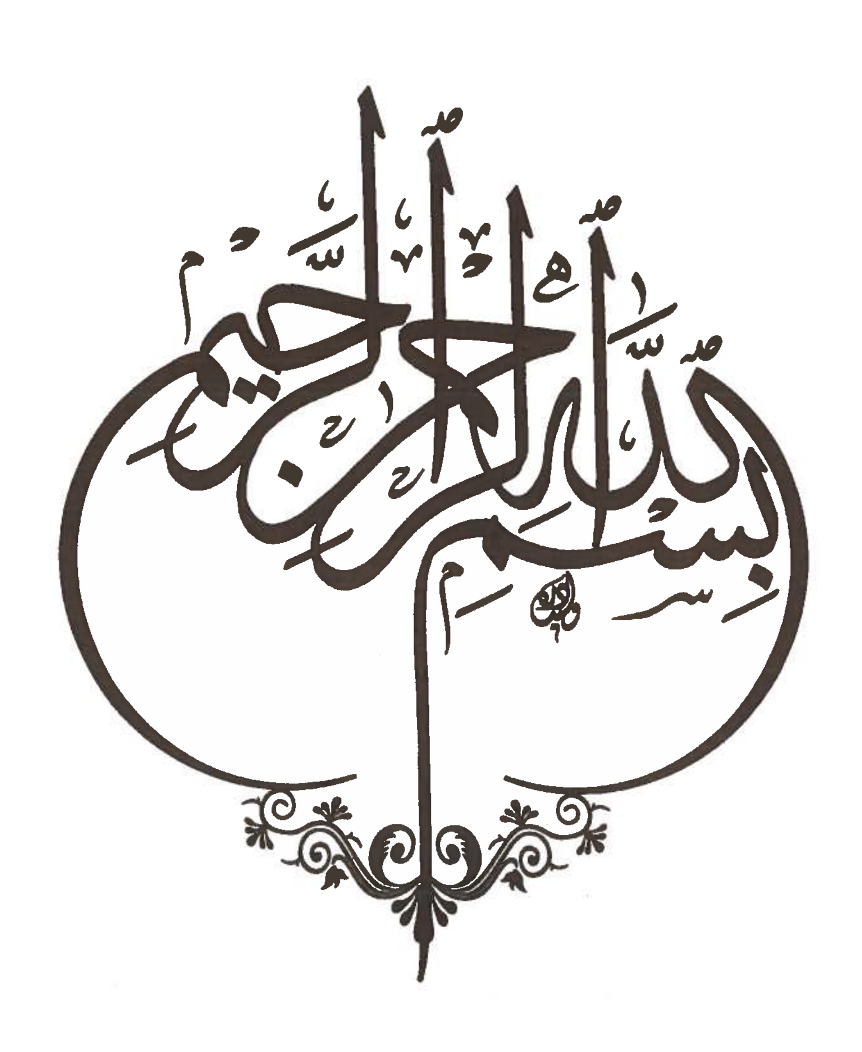
أخلاقنا

جوهري، محمد ربيع محمد

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ = ٢٠٢٥م

١٧,٥ × ٢٥سم
عدد الصفحات: ٣٤٠

الإدارة العامة للمطبوعات
رقم الإيداع: ٢٠٢٥/١٦٢٧
الترقيم الدولي: ٣ – ٧٠٢ – ٢٠٥ – ٩٧٧ - ٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم

الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الدَّايم الجندي

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلاميَّة

الحمدُ للهِ الذي فتحَ بمفاتحِ الغيوبِ أقفالَ القلوبِ، وعجزت العقولُ عن إدراكِ كُنْهِ ذاتِهِ، وتاهتْ فهومُ الفحولِ في أنوارِ معرفةِ صفاتِهِ، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحدُ بألوهيَّته، الأزليُّ بأوليَّته، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسولُه.

وبعد؛

فالأخلاقُ نورٌ يُضِيءُ الدُّجىٰ، وبها تَرْقَىٰ الأُمَمُ إلىٰ العُلَا، وهي في الإسلامِ ليست مجرَّدَ قِيَمٍ أو مبادئَ نظريةٍ؛ بل هي جوهَرُ الدينِ، وأساسُ التعاملِ بين البشر.

وقد جاء الإسلامُ لِيُتَمِّمَ مكارِمَ الأخلاقِ، كما قال النبيُّ ﷺ: «**إنما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صالحَ الأخلاقِ**»[1]، وفي رواية مالك: «**بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ حُسْنَ الأَخْلَاقِ**»[2].

(١) مسند أحمد (١٤/ ٥١٣) عن أبي هريرة.

(٢) موطأ مالك (٧٥/ ١٨٨٥).



والأخلاقُ في الإسلامِ تُشكِّلُ ركيزةً أساسيةً في حياةِ الفردِ والمجتمعِ، فهي ليست منفصلةً عن العباداتِ؛ بل جزءٌ لا يتجزَّأُ منها، وهي تعني مجموعةً من الصفاتِ والسلوكياتِ التي تَحُثُّ علىٰ الخيرِ والفضيلةِ، وتنهىٰ عن الشَّرِّ والرذيلةِ، وتشملُ التعاملَ مع الله تعالىٰ والناسِ والنفسِ.

وتتميَّزُ الأخلاقُ في الإسلام أنها تنبُعُ من الإيمانِ باللهِ تعالىٰ ورسولِه ﷺ، وتَستمِدُّ قُوَّتَهَا من القرآن العظيمِ والسُّنَّةِ النبويةِ؛ فالإسلامُ يَربطُ بينَ الإيمانِ والأخلاقِ، فلا إيمانَ دونَ أخلاقٍ، ولا أخلاقَ دونَ إيمانٍ، فالأخلاقُ ليست مُجرَّدَ سلوكياتٍ ظاهرية؛ بل هي انعكاسٌ لاستقرارِ الإيمانِ في القلبِ؛ إذ «الخُلُقُ هو صورةُ الباطنِ، كما أنَّ الخَلْقَ هو صورةُ الظاهرِ»[1].

وقد رَبَطَ الإسلامُ بين العباداتِ والأخلاقِ، فليست الأخلاقُ مُنفصلةً عن العباداتِ؛ بل هي ثمرةٌ مِنْ ثُمُرِهَا، فالعباداتُ ليست مُجرَّدَ أفعالٍ ظاهريةٍ؛ بل هي وسائل لتربيةِ النفسِ وتزكيتها، فالصلاةُ تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فتُعلِّمُ الإنسانَ الانضباطَ والخشوعَ والنِّظَامَ، مما يَنعكِسُ علىٰ أخلاقِه وتعاملاتِه.

وليس مقصودُ الصيامِ منحصرًا في الامتناعِ عن الطُّعْمَةِ والشُّرْبِ؛ بل هو أيضًا امتناعٌ عن الغيبةِ والنميمةِ وسائرِ الأخلاقِ السيئةِ، قال ﷺ: «مَنْ لَمْ

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٥٥).



يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشرابَهُ»[1]، وكذا سائر العبادات.

وقد بيَّن الرسولُ الأعظمُ ﷺ أنَّ للأخلاقِ الحسنةِ فضائلَ عظيمةً، فقد أخبر ﷺ عن ذلك بقوله: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»[2]، وقال ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[3].

وقد اهتمَّ علماءُ الإسلامِ بالأخلاقِ تربيةً وتأليفًا؛ لبيانِ أهمِّيَّتِها والحَثِّ عليها، ولم يَخْلُ جيلٌ مِن عنايتِه بها، ومن هؤلاء: الأستاذ الدكتور «محمد ربيع جوهري»، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، وكان كتابه هذا «أخلاقنا» مِن أهمِّ الكُتُبِ التي أُلِّفَتْ في عصرِنا الحديث في هذا الشأن.

وقد قسَّمَهُ إلىٰ قسمين رئيسين:

القِسمُ الأوَّلُ في الشِّقِّ النَّظَرِيِّ، تعرَّضَ فيه لبيانِ أنَّ الإسلامَ منبعُ أخلاقِنا، وعرَّج علىٰ الأخلاقِ الفلسفيةِ مُبيِّنًا قصورها عن تقديمِ المنهجِ الصحيحِ للأخلاقِ، ثُمَّ تحدَّث عن خصائص الأخلاق الإسلامية.

(١) صحيح البخاري (٢/ ٦٧٣) عن أبي هريرة.
(٢) سنن الترمذي (٤/ ٣٧٠) عن جابر.
(٣) سنن أبي داود (٤/ ٢٥٣) عن أبي أمامة.

أما القسم الثاني فقد خصَّصَهُ للشِّقِّ العمليِّ، وذكَرَ فيه جملةً من الأخلاقِ الإسلاميةِ؛ فتكلَّم عن «الرحمة، والحياء، والعفة، والصدق، والأمانة، والعدل، والحِلم، والصبر»، وهو في كلٍّ أولئك يَعرِضُها من خلال تناول القرآن الكريم، ومِثَالها التطبيقي من أخلاق النبي ﷺ.

واستجابةً لتوجيهاتِ فضيلةِ الإمامِ الأكبرِ الأستاذِ الدكتورِ/ أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف - حفظه الله - بضرورةِ نشرِ البحوثِ والأعمالِ العلميةِ التي تسهمُ في ربطِ الجمهورِ بعلومِ تُراثِهم، وفنونِ حضارتِهم باعتبارِه واجبَ الوقتِ الذي يُحَتِّمُهُ دَوْرُ الأزهرِ الشريفِ في صناعةِ الوعيِ الفكريِّ؛ رأت الأمانةُ العامةُ لمجمعِ البحوثِ الإسلاميةِ نَشْرَ هذا الكتاب، سائلين الله تعالىٰ أن يجزيَ مؤلِّفَهُ خيرَ الجزاء علىٰ ما قدَّم.

وآخر دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خير الخلق أجمعين، سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ.د/ محمد عبد الدَّايم الجندي

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلاميَّة

تحريرًا في: ٤ رجب ١٤٤٦هـ
٤ يناير ٢٠٢٥م



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة طبعة
مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف خلق الله أجمعين، سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعه بإحسان إلىٰ يوم الدين.

إما بعد؛

فقد ألفت هذا الكتاب: (أخلاقنا) منذ أربعين سنة. وأراد الله له الذيوع، والانتشار، والقبول في مصر، وفي بعض دول أخرىٰ. واختاره السادة أعضاء (المجلس العلمي) التابع لرئاسة تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية منهجًا دراسيًّا من بين مجموعة من الكتب في هذا العلم لطالبات كليات البنات التابعة له، وكان ذلك دون علمي.

وطبعت المكتبات هناك آلاف النسخ خلال سنوات دون علمي، والحمد لله علىٰ ما كان.

وكنت كتبتُ هذا الكتاب وأنا متأثر ـ وما زلت ـ بأحوال أمتنا الإسلامية، وما وصلت إليه من ضعف أخلاقي، وأنا مؤمن بأن علاج هذا الضعف. إنما هو في أهم جوانبه بـ: (أخلاقنا) نحن المؤمنين.

وكيف لا، وقد أمضىٰ نبينا الذي وصفه ربه تعالىٰ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤] أمضىٰ من عمر الرسالة عشر سنين يُربي المسلمين علىٰ: (العقيدة) وعلىٰ (الأخلاق) في مكة. فسادوا الدنيا، ونشروا هذه الأخلاق عمليًّا في فتوحاتهم لنشر الإسلام، وتحرير المستضعفين المستذلين في دولتي الفُرس والروم، فأعجب بأخلاقهم أهل هذه الشعوب، فدخلوا في دين الله أفواجًا؛ فساد العدل والسلام.

ولما طلب مني السادة أصحاب الفضيلة بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف تقديم هذا الكتاب لإعادة طبعه ونشره، حمدت الله وشكرته علىٰ هذه النعمة؛ لينتفع به السادة الدعاة، والعلماء، والخطباء، في تعليم هذه الأخلاق القرآنية والنبوية، فجزاهم الله خيرًا علىٰ اختيارهم وجهدهم في طبع ونشر هذا الكتاب، وغيره، وجزىٰ الله كل من أسهم في هذا العمل العظيم خير الجزاء.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا ونبينا محمد، وعلىٰ آله، وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين،

تحريرًا في: ٤ رجب ١٤٤٦هـ / ٤ يناير ٢٠٢٥م

كتبه
أ.د/ محمد ربيع محمد جوهري
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»[(١)].

«اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»[(٢)].

«وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ. لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ. أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ. تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»[(٣)].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل٨/ ٨١ رقم ٢٧٢٠.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل٨/ ٨١ رقم ٢٧٢٢.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ٢/ ١٨٥ رقم ٧٧١.



«اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي»[1].

«اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[2].

وبعد: فإنني أكتب هذه السطور، وأنا أفكر في حال المسلمين اليوم. وبين يدي بعض الصحف والمجلات التي صدرت خلال الفترة الأخيرة، وهي تشير صراحة أو استنتاجًا إلى ما وصل إليه حالنا هذه الأيام من انحلال اجتماعي، واختلال اقتصادي، وتفسخ أخلاقي:

- سرقة واختلاس، واعتداء على المال العام والخاص.

- تزييف للأوراق النقدية، وتلاعب في المستندات الرسمية.

وحرائق تلتهم ما يبقى من الدلائل والآثار، وإفلات من القانون للصوص الأشرار، ليعيشوا في المجتمع عيشة الأشراف الأخيار.

- ديدان وآفات، تستورد لها المبيدات.

- وأمراض بشرية، جسمية ونفسية، يعجز الطب عن تشخيصها وتسميتها فضلًا عن شفائها وعلاجها.

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود الطيالسي في مسنده ١/ ٢٩١ رقم ٣٧٢.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ٢/ ١٨٥ رقم ٧٧٠.

ـ وذبح للأخلاق، وقتل للفضيلة، تحت عناوين براقة مثيرة، وإعلانات عن متع محرمة، ولذّات ممقوتة مسممة، وسهرات!

ـ وموضوعات عجيبة، تطرح للمناقشات الغريبة:

«تطرف ديني» وخواء التربية من الفكر الإسلامي.

ـ مجمعات استهلاكية، وجمعيات تعاونية، وسوق سوداء لبيع السلع الغذائية فتشتد الأزمات التموينية، ورشوة تكاد تقضي على فاعلية الأجهزة الحكومية.

وإذا انتقلنا من الصعيد المحلي إلى الصعيد العالمي، فالحال كما يلي:

دولتان كبيرتان تعملان ليل نهار من أجل القضاء على ما بقي من أنفاس في الأمة الإسلامية، بأحدث أساليب الغزو الفكري، والضغط المادي.

ما أكثر أعداء الإسلام!

- شيوعية كافرة ملحدة.

- وصهيونية عالمية ماكرة.

- وصليبية شرسة حاقدة.

- وعلمانية عفنة خادعة.

ما أكثر أعداء الإسلام! وما أفظع خططهم!

والمسلمون يذبحون، ويقتلون، ويسامون سوء العذاب، هنا وهناك، في الهند، وفي أفغانستان، وفي الفلبين، وفي لبنان، وفي أماكن عدة في إفريقيا، وسائر العالم.

وأسرح بخاطري، فيثب إلى ذهني: كيف انتشر الإسلام في جنوب شرقِ آسيا، وكيف انتشر في أماكن عدة من إفريقيا. إن هذه البقاع لم يذهب إليها جيوش إسلامية، لتفتحها، وتنشر فيها هذا الدين؟

كيف انتشر الإسلام وأضاء، وأنجب هؤلاء الأبطال الأفذاذ؟

لقد انتشر الإسلام فيها عن طريق:

«أخلاقنا» كما كان يعيشها أسلافنا.

وكانت «أخلاقنا» هي العلاج لكل المفاسد التي كانت تملأ هذه البلاد آنذاك، تمامًا كما أن «أخلاقنا» هي العلاج لكل هذه المفاسد التي عرضنا نماذج منها في هذه المقدمة.

ولقد قضيت فترة من حياتي في دراسة وتدريس: «الأخلاق الفلسفية» فاطلعت على عدد من كتبها، وعرفت بعضًا من أعلامها، وأعجبت حينًا بنظرياتها، ووفقت أحيانًا لكشف زيفها.

وقد لاحظت عليها أمورًا من ضمنها:

١ - أن القضايا الأخلاقية التي يبحثها فلاسفة الأخلاق، لم تنقص، ولم تتغير خلال التاريخ، فالمسائل التي كان يبحثها فلاسفة اليونان الأخلاقيون هي نفسها المسائل التي يبحثها فلاسفة الأخلاق المعاصرون فلا تقدم.

٢ - أنها أفكار نظرية ذهنية. مجال وجودها عقل صاحبها وفكره، فهذا حظها من الوجود، وليس لها من الواقع نصيب يذكر.

٣ - كل فيلسوف يحكم على نفسه بالحق والصواب، ويحكم على غيره بالجهل والحمق، والخطأ والغباء، بل قد يصل الأمر إلى الشتم والسباب.

٤ - كتب الفلسفة الأخلاقية مؤلفات لخاصة البشر، الذين تمكنهم ثقافتهم من فهم أساليبها، وتساعدهم أذهانهم في درك نظرياتها. فما أكثر ما يصعب المعنى، وما أكثر ما يغمض المراد!

٥ - لم يتفق فلاسفة الأخلاق - حتى الآن - على «مقياس أخلاقي» يزنون به الأخلاق، فليس هناك سبيل إلى «اليقين الأخلاقي».

٦ - الجفاف والتركيز على جانب العقل، وإهمال جانب الروح، والعاطفة، والوجدان، وهذا الجانب الأخير قد يكون أكثر تأثيرًا في سلوك الإنسان.

دفعني ذلك إلى أن أجد في البحث في مجال الأخلاق، لعلي أجد ما يقنع

عقلي، ويرضي قلبي، فتوجهت إلى المصادر التي أدين بصحتها، وهي ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وهذه السنة التي لا ينطق صاحبها عن الهوى صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فأخذت أقرأ القرآن الكريم، وأجمع آياته الأخلاقية، وأطالع السنة المطهرة، أجتني من ثمارها الخلقية، وأقطف من أزهارها السلوكية فتجمع لي من ذلك هذا الكتاب: «أخلاقنا».

وشتان بين هذا المنهج، ونهج الأخلاق الفلسفية!

وأين الأخلاق الفلسفية من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ۝٩١﴾

[النحل: ٩٠-٩١].

وأين هي من قوله سبحانه: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

ولما سأل الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جبريل عن معنى هذه الآية قال: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ»[١].

أرأيت هذه العظمة، وذاك السمو الأخلاقي. يا لها من عظمة، وأنعم به من سمو أخلاقي!!

لذلك قال العلماء: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية[٢].

وقد قسمت هذا الكتاب «أخلاقنا» إلى بابين:

الباب الأول - في البحوث النظرية.

والباب الثاني - في الدروس العملية.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٣/ ٣٣٠).

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ٣٠٤.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

[البقرة:٢٨٦].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾

[آل عمران:٨].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[الكهف:١٠].

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الممتحنة:٤].

هذا، وبالله التوفيق،،

الجمعة في ١٩ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ / ١١ يناير ١٩٨٥م

دكتور
محمد ربيع محمد جوهري

البَابُ الأَوَّلُ

في

الأبحاث النظرية

الفَصْلُ الأَوَّل

الإسلام منبع أخلاقنا

الإسلام منبع أخلاقنا

نريد أن نبسط هنا ما أشرنا إليه في المقدمة من عجز «الأخلاق الفلسفية» عن تقديم المنهج الصحيح للأخلاق البشرية، وعن فشلها في رسم الصورة المثلى لسلوك الإنسان.

لقد ربط «سقراط» «ت: ٣٩٩ق. م» بين الفضيلة والمعرفة، لكنه نسي أن الإنسان ليس عقلًا فقط!

وقال «أفلاطون» «ت: ٣٤٧ق. م» بالخير الأقصى، بيد أنه في جمهوريته قضى على نظام الأسرة، ورأى قتل المرضى والضعفاء!

وجاء «أرسطو» «ت: ٣٢٢ق. م» بالوسط الأخلاقي، ولكن ما أغمض هذا الوسط، وما أصعب الوصول إليه! وهل هناك وسط بين الصدق والكذب؟

وبعد أرسطو «أبيقور» «ت: ٢٧١ق. م» زعيم المدرسة الأبيقورية، و «زينون» «ت: ٢٦٤ق. م» أشهر أعلام المدرسة الرواقية، وكلتا المدرستين مادية، لا تعترف بحياة أخرى يلقى فيها كل من الخيرين والأشرار جزاءً وفاقًا.

وجاء «أفلوطين» «ت: ٢٧٠م» فرأى أن غاية النفس الإنسانية أن تتخلص من هذا الجسم المادي الذي هو أصل الشر، لتعود إلى الواحد الفياض،

غير أنه رأى أن هذا الواحد الفياض لا يعلم شيئًا عن الموجودات، ولا يعنى بها، لأنه ليس خالقًا ولا صانعًا لها!

وليس عند فلاسفة النصارى في القرون الوسطى من الأخلاق ما يستحق أن ينفق فيه وقت، أو يبذل فيه جهد.

وأجهد «الفارابي» «ت: ٢٣٩هـ» نفسه في رسم مدينته الفاضلة، لكن «ابن طفيل» «ت: ٥٣١هـ» يقول عنه: «إنه أيأس الخلق جميعًا من رحمة الله تعالى، وصير الفاضل والشرير في رتبة واحدة، إذ جعل مصير الكل إلى العدم، وهذه زلة لا تقال، وعثرة ليس بعدها جبر»[1].

وما كتبه «ابن سينا» «ت: ٤٢٨هـ» إنما هو لخاصة البشر.

وجاء «رينيه ديكارت» «ت: ١٦٥٠م» مؤسس الفلسفة الحديثة، فمال وأتباعه إلى مذهب الرواقيين.

وتم تحويل مذهب أبيقور إلى مذهب المنفعة على يد «بنتام» «ت:١٨٣٢م»، و «جون استيوارت مل» «ت:١٨٧٣م».

وطبق «هربرت اسبنسر» «ت:١٩٠٣م» مذهب النشوء والارتقاء على الأخلاق.

مذاهب لا حصر لها: حدسيون وتجريبيون، مثاليون وعقليون، واقعيون وخياليون، بل تتعدد المذاهب الأخلاقية بتعدد أصحابها.

---

(١) انظر: الدكتور عبد الحليم محمود «التفكير الفلسفي في الإسلام ص٣٦٩».

وتلمع أسماء في «الفلسفة الأخلاقية»: «توماس هوبز» «ت: ١٦٧٩م»، «جون لوك» «ت: ١٧٠٤م»، «اسبينوزا» «ت: ١٦٧٧م»، «هيوم، كانت» «ت: ١٨٠٤م»، «فردريك نبتشه» «ت:١٩٠٣م»، ولكن.. ليس كل ما يلمع ذهبًا.

ومع ذلك لا نريد أن نغمط حق أحد، فقد بذل كل وسعه، وقدم كل جهده.

بيد أننا نريد أن نقول: إن الخلاف إنما هو في نقطة أساسية هي: منبع الأخلاق.

إننا نرى أن المنبع هو: الإسلام، فهو المصدر والمقياس.

ومذاهب أخرى ترى غير ذلك.

ونستطيع أن نوجز أهم المذاهب في مسألة منبع الأخلاق فيما يأتي:

المذهب الأول: يرى أنه عرف المجتمع.

المذهب الثاني: يذهب إلى أنه الضمير الإنساني.

المذهب الثالث: يزعم أنه السعادة والمنفعة.

المذهب الرابع: يعتقد أنه العقل البشري.

وفيما يلي نعرض وجهة نظر هذه المذاهب معقبين عليها بما نراه:

المذهب الأول:

ويرى أصحابه أن عرف المجتمع هو المنبع والمقياس للأخلاق.

والمقصود بالعرف: مجموعة القواعد التي درج الناس عليها جيلًا بعد جيل، والتي يشعرون بضرورة احترامها خشية الجزاء الاجتماعي الذي يصيبهم إذا ما خالفوها، فهو مبني على العادات الاجتماعية الناتجة من اشتراك الناس في أفكارهم ومشاعرهم، فهو قوة من القوى التي يقوم عليها النظام الاجتماعي، وهو مصدر أخلاق الأفراد، والمعيار الذي يزنون به تصرفاتهم، ويحكمون به عليها بالخير أو الشر.

ولكن، هل يصلح أن يكون «العرف» مصدرًا صحيحًا للأخلاق، ومقياسًا نقيس به الأعمال، وضابطًا مأمونًا للسلوك البشري؟

إذا نظرنا إلى العرف فإننا نراه متغيرًا غير ثابت، إنه يختلف بحسب الزمان، فما كان عرفًا مألوفًا في القديم، إذا هو غير ذلك اليوم.

لقد كان شرب الخمر، ووأد البنات عرفًا في الجاهلية، فإذا الإسلام يحرمه، ويقضي عليه، وكانت السرقة مباحة في بعض الأمم الماضية، ولكنها حرمتها بعد ذلك.

«ألم يأتك نبأ بعض القبائل التي لا تزال على حالها الفطرية، كأهل «برنو» زين لهم العرف أن أحدًا لا يستحق أن يخطب فتاة حتى يلقي عند قدميها هامة إنسان، فإن عجز عن ذلك عد في حكم العرف نذلًا مهينًا

جبانًا عند أبناء عشيرته غير كفء لخطبه! هذا القتل يعتده أولئك المتوحشون نبالةً وإقدامًا يوجب القصاص عند أهل الشرائع السماوية والوضعية.

ومما تواضع عليه الاستراليون الأصليون أن من كانت له ابنة، وبلغت الرابعة عشرة من عمرها، عرضها على أحد الرجال للزواج، ومتى تم الاتفاق على تزويجها، أسلمها أبوها إلى الزوج دون أن تراه، أو تعرفه، فإذا أبت، أخذها بالتوبيخ، ثم الزجر، ثم الضرب حتى تخضع، وعند ذلك يجرها من شعرها إلى بيتها الجديد.

ومن عرفهم أنهم يطعمون الغلام من لحم أخيه القتيل، لتجتمع له القوتان في جثمانه.

ومن عرف «التمنيين» وهم من أهل «سيراليونه» أنهم إذا أرادوا انتخاب ملك عليهم، ضربوه ضربًا مبرحًا، ليمتحنوا صبره وجلده، وكثيرًا ما يموت من شدة الضرب»[1].

إن العرف يختلف بحسب الزمان، ويختلف أيضًا بحسب المكان، فعرف الرجل الشرقي يختلف عن عرف الرجل الغربي، وعرف البدوي غير عرف الحضري.

«إن العرف مثله كمثل الريح، يمر على مزرعة «ورد» فيحمل رائحة الورد، ويمر على مزرعة «فل» فيحمل رائحة الفل، ويمر على «مزبلة» فيحمل رائحة المزبلة، فهو متغير، تراه في «مصر» غيره في إنجلترا، وتراه

---

(١) الخلق الكامل، تأليف: محمد أحمد جاد المولى ١/ ١٨٨.



في جنوب إفريقيا غيره في بلاد القطب الشمالي، وبين رجال الدين غيره بين رجال المال والأعمال وهكذا، وليس في استطاعة «أخلاقي» أن يقيس أعمال الناس بمقياس شأنه ذلك»[1].

أضف إلى ذلك أن التمسك بالعرف جمود ورجعية، ومعوق للتطور والتقدم، وقبول الأفكار الجديدة المفيدة للفرد والمجتمع.

وقد نعى القرآن الكريم على من يتخذون العرف مصدرًا لسلوكهم، ومقياسًا لأعمالهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال عزَّوجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾

[المائدة: ١٠٤].

وقال سبحانه: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

[الزخرف: ٢٢-٢٤].

---

(١) تأملات في فلسفة الأخلاق، تأليف: منصور علي رجب ص٢٨٤-٢٨٥.



والخلاصة أن العرف لا يصلح أن يكون منبعًا للأخلاق، ولا مصدرًا لها، ولا ضابطًا يضبط أصولها، ولا أساسًا ينبني عليه سلوك الإنسان.

المذهب الثاني:

ويرى أصحابه أن الضمير البشري هو منبع الأخلاق.

والمقصود بالضمير: القوة الخفية النابعة من نفس الإنسان التي توضح له طريق الخير، وتدفعه إلى سلوكه، وتبين له سبيل الشر، وتحذره منه، ويشعر الإنسان براحة في طاعة هذه القوة، وبتأنيب عند عصيانها.

فهؤلاء يرون أن الضمير بهذا المعنى هو مصدر الأخلاق، ومقياسها، وضابطها، فما يراه خيرًا يكون خيرًا وما يراه شرًا يكون شرًا، وما يراه حقًا يكون حقًا، وما يراه باطلًا يكون باطلًا، وما يراه عدلًا يكون عدلًا، وما يراه ظلمًا يكون ظلمًا، وهكذا في بقية أحكامه وتقديراته.

ويختلف أصحاب هذا المذهب في أن الضمير هل هو قوة فطرية، يولد الإنسان مزودًا بها، كما ذهب إلى ذلك «جان جاك رسو» و «عما نويل كانت» أو أنه قوة مكتسبة، كما رأى «مونتيني» و «جون لوك» و «ديدرو» وغيرهم؟

ولا نريد أن ندخل في هذا الخلاف، لأنه لا يهمنا كثيرًا، لأن كلًا من الفريقين يرى أن أحكام الضمير معصومة من الخطأ، ويجب الإصغاء إليها، والعمل بمقتضاها.

ولكننا نقول: إن الضمير لا يصلح أن يكون مصدرًا للأخلاق، ولا منبعًا لها، ولا مقياسًا نقيس به أمورها.

ذلك أن الضمير أحكامه غير ثابتة، بل تختلف بحسب الزمن، فأحكام الضمير لإنسان القرن العشرين تختلف كثيرًا عن أحكام ضمير من عاش في العصور القديمة أو الوسيطة.

وتختلف من جهة أخرى بحسب المكان والبيئة، فالضمير في أوروبا غيره في أواسط إفريقيا، غيره في الدول الإسلامية.

وإن أحكام الضمير تكون مبهمة لا وضوح فيها. فكيف نعتمد عليها في أمر عظيم الشأن، وهذا حالها.

وكثيرًا ما تتغلب العواطف، والانفعالات، والعادات، والتقاليد، والمواقف الخاصة، والمصالح الشخصية في ضمائر الناس وأحكامها.

ونلاحظ أن كلمة «الضمير» بهذا المفهوم الأخلاقي لم ترد في القرآن الكريم، ولا وجود لها في معاجم لغة العرب.

كما أن فكرة الضمير، وكونه مصدرًا للأخلاق، وضابطًا لها قد ظهرت وازداد انتشارها في عصر النهضة الأوروبية، عندما قضى زعماء الثورة على الكنيسة، فأشاعوا هذه الفكرة، لتكون بديلًا عن الدين في مجال الأخلاق، فكانت النتائج على ما نراه اليوم، وما أشرنا إليه في المقدمة.

يقول الدكتور عبد الحليم محمود:

«إذا بحثنا في معاجم اللغة العربية عن معنى كلمة «الضمير» فإننا لا نجد من بين معانيها المعنى الأخلاقي الذي نفهمه من هذه الكلمة في العصر

الحاضر، ونستعملها فيه ونطلقها عليه، وهي لم ترد بهذا المعنى في القرآن، أو الحديث، أو في الشعر العربي القديم. إنه معنى محدث أخذناه عن الغرب في العصور الحديثة.

وقد استعمله الغرب كثيرًا، وأشاد به، حينما أراد أن يضع للأخلاق أساسًا ومقياسًا، منفصلين عن الدين.

وكان ذلك على الخصوص حينما أراد الغرب أن يتخلص من سيطرة الكنيسة، وأن يخرج على سلطانها. ويثور على قواعدها وأوضاعها، ويفرق أو يفصل بين الدين والدولة، وكان الدين إذ ذاك أساسًا ومقياسًا للأخلاق، ولا مناص - إذا أريد التخلص من الدين - من البحث عن أساس ومقياس للأخلاق، فلا بد - لاستقرار المجتمع وهدوئه وأمنه - من أن تستقر الأخلاق، وتقوم على دعامة قوية، وإلا لانهار المجتمع، وناله الفساد من جميع أقطاره.

وتلفت زعماء الثورة على الكنيسة يمينًا وشمالًا، لعلهم يجدون ما يقوم مقام الدين - وقد تحللوا منه بالنسبة للأخلاق - فوجدوا كسراب يتأنق الضمير، فتشبثوا به، وأثنوا عليه، ورفعوا من شأنه، واعتبروه أساسًا ومقياسًا للأخلاق»[١].

فهذا المصطلح «الضمير» هو من المصطلحات والكلمات التي تتردد كثيرًا، وتستهدف إخراج الفكر الإسلامي من مقوماته وذاتيته وجوهره الأصيل.

---

(١) الإسلام والعقل ص٦٣-٦٤.

«ومصطلح «الضمير» من التعبيرات التي استحدثتها كتب الأخلاق الغربية، وهو مصطلح أريد به: إحلال مفهوم أخلاقي منفصل عن مفهوم الأديان المنزلة، فحيث يدعو الإسلام إلى بناء الإنسان بالتقوى، ويجعل منه قوة فعالة، تحول بين الإنسان وبين الشر، فقد دعا كتاب الغرب إلى ما يسمى بالضمير.

والضمير بهذا المفهوم لا يتشكل إلا من خلال مفاهيم البيئة، والثقافة، والعقيدة، فإذا تشكل على معنى التحرر من قيم الأخلاق، أو اعتبارها نسبية، لا ترتبط بالإنسان، ولا بالمثل الثابتة، فإنما يجري الضمير معها هذا المجرى، وحينئذ لا يستطيع ذلك أن يحقق شيئًا على النحو الذي يشكله مفهوم الضمير المرتبط بالأخلاق والعقيدة.

لذلك فإن الرأي: أن الضمير ينبني تحت مفهوم ترابط الدين والخلق[1].

والخلاصة أن الضمير لا يصلح أساسًا للأخلاق ولا منبعًا لها.

المذهب الثالث:

ويرى أصحابه أن مقياس الأخلاق وميزانها يرجع إلى اللذة، والمنفعة. فما يحقق اللذة والمنفعة المادية يكون خيرًا، وما يحقق ألمًا وضررًا ماديًّا يكون شرًّا، يجب تجنبه والبعد عنه، فالفضيلة تدور مع اللذة والمنفعة وجودًا وعدمًا.

---

(١) أنور الجندي، مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام ص١٩٧.

«يرى أهل هذا المذهب أن الإنسان لا يستطيع أن يجزم بشيء سوى ما يصيب بدنه من اللذة والألم، فاللذة هي الخير، والألم هو الشر، وهما معيار الأعمال، ومناط الأحكام، وإذ أنه لا يدري شيئًا مما يكنه له الغيب - وهو يعلم الحاضر علمًا محسًا لا مرية فيه - فالحكمة كل الحكمة أن يهتبل فرصة اللذات قبل فواتها، وينتهب المسرات قبل انقطاعها، ولا مرشد إليها سوى ما ركب فيه من الطبائع والغرائز، فهي الرائد الذي لا يكذب أهله، والمرشد الصادق إلى ما فيه اللذة والهناءة في هذه الحياة الدنيا»[1].

وترجع جذور هذا المذهب إلى الفيلسوف اليوناني أبيقور «ت: ٢٧١ق.م».

فقد كان يرى أن الأعمال تقاس بما ينشأ عنها من اللذة والمنفعة، وإن كان «أبيقور» لا يحصرها في اللذة والمنفعة المادية.

وقد تطور هذا المذهب بعد ذلك على يد كل من: توماس هوبز «ت: ١٦٧٩م» وبنتام «ت:١٨٣٢م» وجون استيوارت ميل «ت:١٨٧٣م» ولا نريد أن نعرض لتفاصيل مذاهب هؤلاء. وما أحدثوه في «مذهب اللذة والمنفعة» من آراء وأفكار. لأننا نريد أن نعرض عن هذا المذهب كله جملة وتفصيلًا.

ذلك لأن هذه النظرة تتجاهل الجانب غير المادي في الإنسان، ولا تعطيه قدره الذي ينبغي له، وهو جانب له أثره، وله أهميته في حياة الفرد، وفي كيان الأسرة، وفي نظام المجتمع.

---

(١) الخلق الكامل ص٢٠١.



وإن هذا الرأي يفسح المجال أمام: الأثرة، والأنانية، والظلم، وانتهان الفرص، ويقضي من جانب آخر على أخلاق مهمة، لا نستطيع غض الطرف عنها مثل: الإيثار، والكرم، والتعاطف، فأي منفعة مادية في هذه الأخلاق؟

«ومما يضعف القول بهذا المذهب أننا مازلنا نقرأ في صحف الأبطال، وقادة الأمم، كيف سمت بهم هممهم العظيمة إلى إطراح لذاتهم، وما هم فيه من رفاهية العيش، وهناءة البال، لا سعيًا وراء اللذة والمسرة، بل لينقذوا غيرهم من بني جلدتهم غير مكترثين بما يصيبهم في ذات أنفسهم من أذى وإهانة، كأنهم يفرحون بما يدهمهم في سبيلهم من نوازل الأحداث، وخطوب الزمن، لا تهدهم العظائم، ولا تفزعهم الشدائد»[1].

كما أن وجهة النظر إلى المنفعة المادية أيضًا تختلف من شخص إلى شخص، فنظرة الرجل الرأسمالي، غير نظرة الشيوعي، غير نظرة المسلم.

«ليس مقياس السعادة العامة مقياسًا ثابتًا محدودًا، وهذا يجعل الحكم بأن العمل خير أو شر مجالًا للخلاف الكثير، ذلك بأن مدار الحكم هو اللذة والألم، وتقدير ما في العمل من اللذة والألم، يختلف باختلاف الأشخاص، فقد يرى أحد في عمل لذة كبيرة، ويرى آخر فيه لذة أكبر، أو أقل، فيترتب على ذلك اختلافهم في الحكم على الشيء بالخيرية أو الشرية»[2].

وكثيرًا ما تتأثر المنفعة المادية بعوامل كثيرة يصعب فصلها وحصرها.

---

(١) الخلق الكامل، ص٢٠٤.

(٢) أحمد أمين، كتاب الأخلاق ص١١٦.



«أضف إلى ذلك أن اتخاذ المنفعة في ذاتها معيارًا للأفعال الخلقية مفض لا محالة إلى اللبس بين الحق والباطل، فطالما جر الباطل إلى لذة وحبور، وجاء في سبيل الحق ما لا يوصف من الهموم والشرور، ومع ذلك فالحق أحق أن يتبع، وما خير بخير بعده النار، وما شر بشر بعده الجنة»[1].

وقد نعى القرآن الكريم على أصحاب هذا المذهب فقال: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور:٤٨-٥٢].

وقال في موضع آخر: ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾﴾ [النساء:٧٢-٧٣].

والخلاصة أن اللذة، أو المنفعة بأي معنى من معانيها لا تصلح أن تكون أساسًا للأخلاق أو مقياسًا لها.

---

(١) الخلق الكامل ص٢٠٨.

المذهب الرابع:

ويعتقد أصحابه أن العقل البشري هو أساس الأخلاق ومصدرها، ومقياسها وضابطها، فما يراه العقل خيرًا يكون خيرًا، وما يراه شرًا يكون شرًا، وما يراه فضيلة يكون فضيلة، وما يراه رذيلة يكون رذيلة، فالعقل قادر على وضع القانون الأخلاقي في جوانبه المختلفة الفردية والاجتماعية.

ولكن.. إذا أردنا أن نحتكم إلى العقل في وضع القانون الأخلاقي، فإلى عقل من نحتكم؟

هل نحتكم إلى عقل أحد فلاسفة الأخلاق العقليين في العصور القديمة، في اليونان، أو الهند، أو مصر مثلًا؟

أو إلى عقل أحد فلاسفة الأخلاق العقليين في العصور الوسيطة، في بغداد، أو الأندلس، أو روما مثلًا؟

أو إلى عقل أحد فلاسفة الأخلاق العقليين في العصور الحديثة، في إنجلترا، أو فرنسا، أو روسيا، أو أمريكا؟

إلى عقل من نحتكم؟

وقد لاحظنا أن نتائج البحث العقلي في الأخلاق تختلف باختلاف الزمان، والمكان، والبيئة، والثقافة، بل إنها تختلف، وتتعدد بتعدد رؤوس أصحابها.

ويبدو واضحًا في هذه النتائج النقص والقصور نتيجة النقص والقصور في العقل البشري ذاته.

إن عمل العقل أن يؤلف من المحسات، وأن يركب، ويكتشف ويخترع، كل ذلك في مجال العلوم الطبيعية: الكيمياء، الأحياء، الطبيعة، والفلك. والجيولوجيا، إلخ، أو مجال العلوم الرياضية، وهي وإن كانت مجردة إلا أنها مرتبطة بالمحسات أيضًا، لكن العقل إذا عمل في مجال الأخلاق، وحاول أن يضع القانون الأخلاقي بكل تفاصيله، فإن عجزه يظهر، وقصوره يتضح. كما أشرنا من قبل، ويرحم الله القائل:

إذا اعترضَ العقلُ على ربه	**فإنما العقل هو الجهل**
يعترض العقل على صانع	**من بعض مصنوعاته العقل**
إن بان فضل العقل في صنعه	**فصانع العقل له الفضل**

وإننا لنتساءل: هل أتم العقل وضع القانون الأخلاقي الصحيح؟

إن كان قد قام بالوضع فلاسفة الأخلاق العقليون القدامى. فبماذا يشتغل فلاسفة الأخلاق المعاصرون مادام الوضع قد تم؟

وإن لم يكن قد تم الوضع، فهل عاش كل من قبلنا من المفكرين والمصلحين على غير القانون الأخلاقي الصحيح؟ وهل سيتمكن فلاسفة الأخلاق المعاصرون من وضع القانون الأخلاقي الصحيح؟ أو أننا سننتظر فلاسفة عقليين آخرين، يأتون في المستقبل، يقدرون على وضع النظام الأخلاقي الصحيح؟

ليس هذا بصحيح، ولا ذاك بصحيح، ولا أي احتمال من الاحتمالات المذكورة بصحيح.

إننا لا نريد بذلك أن نحط من قدر العقل، ولا أن نقلل من منزلته. كيف وهو من أكبر نعم الله – جل في علاه – على الإنسان. ولكننا نحاول تحديد مجاله فقط. وإننا نسترشد في ذلك بما ذكره الدكتور عبد الحليم محمود حيث يقول:

«وإذا تساءلت الآن: ما هو إذن موقف العقل من الدين، وموقف الدين من العقل؟ فإننا نجمل الموضوع في النقط الآتية:

نزل الدين هاديًا للعقل في جميع الأمور التي لو ترك العقل وشأنه فيها، ضل السبيل، وعجز عن الوصول إلى الحقيقة، وهذه الأمور هي:

أ. العقائد.

ب. المبادئ الأخلاقية إجمالًا وتفصيلًا.

جـ. التشريع في قواعده العامة. وفي بعض تفصيلاته، وقواعده العامة تتضمن الجزئيات على مر الزمن، وعلى اختلاف البيئات.

أما الطبيعة والكون، فمن سمائه وأرضه، ومن جباله وبحاره، ومن كواكبه وأقماره وشموسه، أما المادة والطاقة، أما أعماق البحار وآفاق السماء، إن كل ذلك قد تركه للإنسان يدرسه في مصنعه ومعمله بآلاته وأدواته، وحثه على أن يجول في ذلك ما استطاع إليه سبيلا، حتى يكتشف سنن الله الكونية، ونواميسه الطبيعية: ويرى صنع الله الذي أتقن كل شيء، ولم يحجر الدين على الإنسان في هذا المجال، اللهم إلا الواجب الذي ينبغي أن يكون شعاره دائمًا: وهو أن يكون هدفه من كل ذلك الخير.

والإسلام دين العقل بكل هذه المعاني التي ذكرناها»[1].

وبعد هذه الجولة مع هذه المذاهب نعود إلى ما بدأنا به من أن الإسلام هو «منبع أخلاقنا» إن صانع الشيء هو الأقدر على وضع النظام الأمثل لسيره وعمله وصيانته، وإن الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم هو الأقدر على وضع قانون خلقه السليم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤].

إن النظام الأخلاقي الحق موجود في «القرآن الكريم» الذي قال عنه منزله: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:١].

وفي السنة المطهرة لذلك النبي الذي كان خلقه القرآن، والذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق، صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) الإسلام والعقل ص٢١-٢٢.

الفَصْلُ الثَّانِي

خصائص أخلاقنا

خصائص أخلاقنا

السنن الكونية والسنن الأخلاقية:

إذا نظرنا إلى الكون المحيط بنا من سماء وأرض، وبحار وأنهار، ورياح وأمطار، وشموس وأقمار، ونبات وأشجار، وليل ونهار، نجد أنه محكوم بقوانين مضبوطة، ويسير وفق سنن دقيقة، كشفت بعضها علوم الطبيعة، والكيمياء، والأحياء، والطب، والفلك، والجغرافيا، والجيولوجيا... إلخ.

فهذه العلوم تأسست نظرياتها على النظام الدقيق الذي يضبط هذا الكون المادي من أصغر ما نعرف فيه، وهو «الذرة» إلى أكبر ما سمعنا به، وهو «المجرة».

وفيما يلي نصوص قرآنية، تشير إلى هذه السنن الكونية، والقوانين الإلهية:

١ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ

إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[الأنعام:٩٥-٩٩].

٢- ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ۝٦﴾[يونس:٥-٦].

٣- ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ۝١٩ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝٢٠ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ۝٢١ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ۝٢٢ وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝٢٣﴾[الحجر:١٩-٢٣].

٤- ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ۝١٦ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ۝١٧ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۢ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ۝١٨ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝١٩ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ۝٢٠ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ

وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المؤمنون:٢١-٢٢].

٥- ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[الفرقان:٦١-٦٢].

٦- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر:٤١].

٧- ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس:٣٧-٤٠].

وإذا كان الجانب المادي من هذا الكون محكومًا بهذه القوانين والسنن الإلهية، فإن الجانب غير المادي أيضًا له قوانين تحكمه، وسنن إلهية تضبطه.

والقوانين والسنن الأخلاقية دقيقة كل الدقة، مثل القوانين والسنن التي تحكم المادة، لأن الله - جل في علاه - هو الذي ضبطها وأجراها أيضًا.

ومن السنن الأخلاقية ما هو «عام» يشمل الخير بجميع أنواعه، والبر بكل ألوانه.

ومن القوانين الأخلاقية ما هو «خاص» بخلق معين، أو بفضيلة محددة.

وفيما يلي نعرض نماذج لكل من النوعين:

أ. السنن والقوانين الأخلاقية العامة:

١- ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة:١٠٠].

٢- ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف:١٧٠].

٣- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

٤- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٣].

٥- ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦].

٦- ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣].

٧- ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء:١٠٥].

٨- «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»[1].

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله ٣/ ١٥٠٦ رقم ١٨٩٣.



ب. السنن والقوانين الأخلاقية الخاصة:

١ - فمن قوانين الرحمة:

- «مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ»(١).

- «لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ»(٢).

- «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ، وَصَلَاتِهِمْ، وَإِخْلَاصِهِمْ»(٣).

- «إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ رَحْمَتِي فَارْحَمُوا خَلْقِي»(٤).

- «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(٥).

- «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب، كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم ٨/ ١٠ رقم ٦٠١٣، ومسلم في صحيحه- كتاب الفضائل - باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك ٧/ ٧٧ رقم ٢٣١٩ من حديث جرير بن عبد الله.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في الرحمة ٤/ ٤٤١ رقم ٤٩٤٢.

(٣) أخرجه الإمام النسائي كتاب الجهاد - باب الاستنصار بالضعيف ١/ ٦٢٧ رقم٣١٧٨، وأصله عند البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير - باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب ٤/ ٣٦ برقم ٢٨٩٦ بلفظ «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ».

(٤) أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق بَابُ فَضْلِ الرَّحْمَةِ وَرِقَّةِ الْقَلْبِ١/ ٣٢٦ رقم٤١.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب - باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ٨/ ٨ رقم٢٥٥٧.

مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[1].

٢- ومن قوانين العدل والظلم:

- ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام:٢١].

- ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ [يونس:١٣].

- ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ [إبراهيم:٤٥].

- «مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَّطَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ»[2].

- «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود:١٠٢]»[3].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٨/ ٧١ رقم ٢٦٩٩.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٣٤/ ٤ رقم٣٦٦٣، وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ١/ ٦٢٤ رقم١٠٦٣، وفي التنزيل ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن - سورة هود - باب قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ ٦/ ٧٤ رقم٤٦٨٦.

٣- ومن قوانين الصبر:

- ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف:٩٠].

- ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف:١٢٨].

- ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧﴾ [الأعراف:١٣٧].

- ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ٦﴾ [القصص:٥-٦].

-«يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[1].

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٣٧٠ رقم١٤٩٩

٥- ومن قوانين الرفق:

- «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»(١).

- «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ»(٢).

٦- ومن قوانين الحياء:

- «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»(٣).

- «مَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ»(٤).

العلاقة بين السنن المادية والسنن الأخلاقية:

إذا تأملنا الآيات القرآنية التي تتناول هذا الموضوع، فإننا نلاحظ وجود ارتباط وثيق بين القوانين المادية، والقوانين الأخلاقية، فإن الله - جل في علاه - قد ربط بين هذين الجانبين ربطًا وثيقًا، ونسق بينهما تنسيقًا دقيقًا وفيما يلي أمثلة لذلك:

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق ٨/ ٢٢ رقم ٢٥٩٣.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الرفق٨/ ٢٢ رقم٢٥٩٢.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأدب - باب الحياء ٨/ ٢٩ رقم٦١١٧.

(٤) أخرجه الإمام الضياء في الأحاديث المختارة ٥/ ١٥٤ رقم ١٧٧٩.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾

[الرعد:١١].

- وقـــال عزَّوَجلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾ [الطلاق:٢-٣].

- وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٦﴾

[الأعراف:٩٦].

- وقـال تعـالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ۝٥٢﴾

[هود:٥٢].

- وقـــال عزَّوَجلَّ: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢﴾

[نوح:١٠-١٢].

- وقال جلت قدرته: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ۝١١٢﴾ [النحل:١١٢].

وخلاصة ما ذكرنا:

- أن «أخلاقنا» لها قوانين تضبطها.

- وهذه القوانين قواعد وسنن إلهية.

- وهذه السنن الأخلاقية الإلهية دقيقة كل الدقة، شأنها في ذلك شأن القوانين التي تحكم الجانب المادي من الكون.

- وأن هناك ترابطًا وثيقًا بين الجانبين.

وننتقل إلى بيان خصائص «أخلاقنا» والمميزات التي امتاز بها النظام الأخلاقي الإسلامي، فنوجزها فيما يلي:

أولًا: إنه يمتاز بالشمول: فقد شمل علاقة الإنسان بخالقه، فالإخلاص سر بين العبد وربه، لا يطلع عليه إلا الله، وشمل علاقة الإنسان بنفسه، وبني جنسه، بل ويمتد ليشمل علاقة الإنسان بكل عناصر الكون.

فمن خلق المسلم الرحمة بالحيوان، فقد «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»[1].

«أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا»[2].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق - باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم ٤/ ١٣٠ رقم ٣٣١٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب قتل الحيات وغيرها - باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها ٧/ ٤٤ رقم ٢٢٤٥.

ولا يجوز للمسلم أن يتلف النبات، أو أن يخرب الجماد، لأن ذلك فساد ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة:٢٠٥].

ثانيًا: إنه يقنع العقل، ويشبع العاطفة، ويرضي القلب والوجدان، فما من خلق حث عليه الإسلام، أو حذر منه، يتعارض مع العقل المستنير، أو يجافي القلب السليم.

إن القرآن الكريم عندما ينهى عن الغيبة، ويقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢] يردف النهي بقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات:١٢]

والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حينما يعرف البرَّ والإثم يقول:

«الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ»(١).

ثالثًا: وللمسئولية في الأخلاق الإسلامية جانبان:

مسئولية شخصية: قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت:٤٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور:٢١].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [النساء:١١١].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٧/ ٣٩٨٢ رقم١٨٠١٩.



وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء:١٥].

وقال عزّوجلّ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

ومسئولية جماعية أيضا قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ وَلَا يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ اللهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ»[1]. وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «لَعَنَ اللهُ مَنْ رَأَى مَظْلُومًا، فَلَمْ يَنْصُرْهُ»[2].

رابعًا: القانون الأخلاقي الإسلامي لا يكتفي بالحكم على أعمال الإنسان الظاهرة بالخير أو بالشر، بالفضيلة أو بالرذيلة، ولكنه يمتد إلى الحكم على النوايا، والبواعث، والمقاصد. قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[3].

وكان من أنواع الصدق المحمود: الصدق في النية، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ١١ رقم ١٧.

(٢) أخرجه الجرجاني في ترتيب الأمالي الخميسية ٢/ ٢٤٣ رقم٢٢٨٩.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» بدء الوحي - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (١/ ٦) برقم: (١)، ومسلم في «صحيحه» كتاب الإمارة - باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» (٦/ ٤٨) برقم: (١٩٠٧)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

خامسًا: الرقابة في الأخلاق الإسلامية تختلف عن الرقابة في مصادر الأخلاق الأخرى التي سبقت الإشارة إليها، فالرقيب الذي يجب أن يراعى في القانون الأخلاقي الإسلامي هو الله الذي ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِى ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر:١٩]، ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾ [إبراهيم:٣٨]، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩﴾ [النحل:١٩]، ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾ [طه:٧]، ﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٧٥﴾ [النمل:٧٥].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾ [سورة ق:١٦].

ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨﴾ [النساء:١٠٨].

ويقول: ﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا﴾ [يونس:٦١].

فأين هذه الرقابة المحيطة الشاملة من رقابة القوانين البشرية!

سادسًا: إن الأخلاق الإسلامية تنظر إلى الإنسان على أنه مركب من جسد وروح، ولكل منهما متطلباته، فأخلاق الإسلام لا تجعل الجسد يطغى على الروح، ولا الروح تطغى على الجسد يقول تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [القصص:٧٧].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣٢﴾ [الأعراف:٣١-٣٢].

ويقول عزّوجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد:٢٨].

سابعًا: ومن أهم ما يمتاز به النظام الأخلاقي الإسلامي الصلاحية العامة، فهو صالح لكل عصر من العصور، ولكل مجتمع من المجتمعات، وذلك لما فيه من السهولة واليسر، والتكليف بالوسع، ورفع الحرج.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾

[البقرة:١٨٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾

[الأنعام:١٥٢].

وقال عزّوجلّ: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾

[البقرة:١٧٣].

وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل:١١٥].

وقال سبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦].

وقال جلت قدرته: ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ۝٥﴾ [الأحزاب:٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج:٧٨].

ومما يؤكد هذا المعنى ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة قال: «لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٢٨٤﴾ [البقرة:٢٨٤] قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾[البقرة:٢٨٥]. قالوا: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ

وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٥].

فلمَّا فعلُوا ذلِكَ نَسَخهَا اللهُ تَعالَى، فأَنْزَلَ اللهُ عزَّوجلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة:٢٨٦]. قَالَ: نَعَمْ»[1].

وترجع صلاحية القانون الأخلاقي أيضًا لكل زمان ومكان إلى ضمان الله تعالى له حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾

[الحجر:٩].

وذلك بعد أن أكمله وأتمه جل في علاه ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

ثامنًا: وأخلاق الإسلام تجعل الجزاء لكل من الخيرين والأشرار نوعين: نوع في الدنيا، ونوع في الآخرة:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان - باب بيان قوله تعَالَى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ١/ ٨٠ رقم ١٢٥.



أما جزاء الخيرين في الدنيا: فيشير إليه قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

وقوله سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

وقولـــه عزّوجلّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

وأما جزاؤهم في الآخرة: فيشير إليه قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾

[الغاشية:٨-١٦].

وقولـه سـبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٧-٨].

وقوله عزوجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة:٧٢].

وأما جزاء الأشرار في الدنيا: فيشير إليه قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[النحل:١١٢].

ويتحدث القرآن عن بعض المخالفات الأخلاقية، ثم يقول: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٨٥﴾ [البقرة:٨٥].

وأما جزاؤهم في الآخرة: فيشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ٢٩﴾ [الكهف:٢٩].

وقوله عزوجل: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ٢٢﴾ [الحج:١٩-٢٢].

وقولـه سـبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة:٥١-٥٦].

هذه هي أهم خصائص «أخلاقنا».

الفَصْلُ الثَّالِث

ارتباط الأخلاق بالعقيدة والعبادات

ارتباط الأخلاق بالعقيدة والعبادات

ربط الدين الإسلامي بين جانب العقيدة منه، وبين الأخلاق التي ارتضاها لأتباعه ربطًا وثيقًا، وذلك يبدو واضحًا من خلال القرآن الكريم، والسُّنة المطهرة، فإن مقتضى الإيمان بالله تعالى أن يكون المؤمن ذا خلق محمود، وإن الأخلاق السيئة دليل على عدم وجود الإيمان، أو دليل على ضعفه، وعلى ذلك يمكننا أن نعرف مدى إيمان الشخص بمقدار ما يتحلى به من مكارم الأخلاق. ونعرف مدى ضعف إيمانه بمقدار ما يتصف به من ذميم الأخلاق.

فعندما يطالب القرآن أتباعه بالعدل، يذكر قبل الطلب وصف الإيمان للإشارة إلى أن الإيمان يقتضي العدل فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾

[المائدة:٨].

وعندما يأمر الإسلام بالصدق، يقول القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

ويربط الكتاب الكريم بين الإيمان، وبين عمل الصالحات والإحسان، فيقول: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ

وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾[النساء: ١٢٤-١٢٥].

ويبين الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تلك الصلة القوية بين الإيمان أو النفاق من جانب، وبين الصدق، والوفاء، والأمانة، أو ضد هذه الأخلاق من جانب آخر فيقول: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[١].

وفي رواية: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ: وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»[٢].

هكذا نرى أن هذه الأخلاق السيئة - الكذب، وخلف الوعد، وخيانة الأمانة، والغدر، والفجور - دليل على النفاق، وأمارة على عدم امتلاء القلب بالإيمان بالله تعالى.

إن مقتضى الإيمان بالله أن يكون المؤمن كريمًا، جوادًا، سمحًا، حسن الجوار، يعرف حقوق جاره عليه، فيؤديها، ولا يفعل ما يؤذيه أو يضره، ويعلم الواجب عليه نحو ضيفه فلا يفرط فيه. يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان - باب علامة المنافق١/ ١٦ رقم ٣٣.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق ١/ ٥٦ رقم ٥٨.

كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله: «إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ.

قَالُوا: وَمَا بَوَائِقُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ، وَلَا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالًا مِنْ حَرَامٍ فَيُنْفِقَ مِنْهُ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلَ مِنْهُ، وَلَا يَتْرُكُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ، إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ، إِنَّ الْخَبِيثَ لَا يَمْحُو الْخَبِيثَ»[2].

وإن مقتضى الإيمان أن يكون المؤمن حييًا: فقد مر رسول الله ﷺ على رجل من الأنصار - وهو يعظ أخاه في الحياء - فقال رسول الله ﷺ: «دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ٨/ ١١ رقم ٦٠١٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٨٥٥ رقم ٣٧٤٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان ١/ ١٤ رقم ٢٤.

ويوضح الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذه العبارة في حديث آخر فيقول: «الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ»(١).

وإن مقتضى الإيمان أن يكون المؤمن رحيمًا: يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا»(٢).

وليس المقصود بالرحمة معنى ضيقًا محدودًا، يشمل شخصًا دون آخر، أو جماعة دون أخرى، أو جنسًا دون غيره، بل الرحمة بمعناها العام الذي يشمل كل مخلوقات الله تعالى.

عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَرَاحَمُوا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كُلُّنَا رَحِيمٌ. قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ صَاحِبَهُ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ النَّاسِ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ»(٣).

أي: الرحمة الشاملة لجميع خلق الله جل في علاه.

وإن مقتضى الإيمان أن يكون المسلم صابرًا محتسبًا، راضيًا بما قدر

---

(١) أخرجه الحاكم في «مستدركه» كِتَابُ الْإِيمَانِ - إذا زنى العبد خرج منه الإيمان ١/ ٢٢ رقم ٥٩. وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا، فَقَدِ احْتَجَّا بِرُوَاتِهِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ.

(٢) أخرجه الحاكم في «مستدركه» كِتَابُ الْإِيمَانِ - ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا ١/ ٦٢ رقم ٢٠٩. وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ فَقَدِ احْتَجَّ بِعَبْدِ اللهِ ابْنِ عَامِرٍ الْيَحْصَبِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد باب رحمة الناس ٨/ ١٨٦ رقم ١٣٦٧١. وقال: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

الله له، فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»[1].

فإذا وقر الإيمان في القلب، تقبل المؤمن كل ما تأتي به الأيام بصبر جميل؛ لأنه يعلم أن أمره كله خير، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[2].

فالمؤمن لا يخاف من المصائب والأقدار، إنما يخاف من الذنوب والسيئات وسوء الأخلاق. قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ، قَالَ بِهِ هَكَذَا فَطَارَ»[3].

ويخبرك الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعلامة تعرف بها إيمانك فيقول: «إِذَا سَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ، وَسَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ، فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ»[4].

فالمسلم دائمًا يسعى إلى مكارم الأخلاق يتحلى بها، وإلى محاسن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز - باب ليس منا من شق الجيوب ٢/ ٨١ رقم١٢٩٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق - باب المؤمن أمره كله خير٨/ ٢٧٧ رقم٢٩٩٩.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ - باب ٤/ ٢٧٢ رقم ٢٤٩٧.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١٠/ ٥٢٠٨ رقم ٢٢٥٨٩ من حديث أبي أمامة.

السجايا ينصف بها، حتى يكتمل إيمانه، ويثقل ميزان حسناته يوم القيامة، فيدخل جنة ربه.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»(١).

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك فحرصوا عليه، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ قَالَتْ: بَاتَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْلَةً يُصَلِّي، فَجَعَلَ يَبْكِي وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي»، حَتَّى أَصْبَحَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، مَا كَانَ دُعَاؤُكَ مُنْذُ اللَّيْلَةِ إِلَّا فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّرْدَاءِ، «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ يَحْسُنُ خُلُقُهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ حُسْنُ الْخُلُقِ الْجَنَّةَ، وَيُسِيءُ خُلُقُهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ سُوءُ خُلُقِهِ النَّارَ، وَإِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ لِيُغْفَرُ لَهُ وَهُوَ نَائِمٌ»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، قَالَ: «يَقُومُ أَخُوهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَتَهَجَّدُ فَيَدْعُو اللهَ عَزَّوَجَلَّ فَيَسْتَجِيبُ لَهُ، وَيَدْعُو لِأَخِيهِ فَيَسْتَجِيبُ لَهُ فِيهِ»(٢).

ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»(٣).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان، كتاب النكاح - باب معاشرة الزوجين - ذكر البيان بأن من خيار الناس من كان خيرا لامرأته ٩/ ٤٨٣ رقم ٤١٧٦.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان- فصل في الحلم والتؤدة والرفق في الأمور كلها ١١/ ٦٢ رقم٨١٨٦.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب حسن الخلق ١/ ١٠٣ رقم٢٧٠.

وفي رواية: «وَلَيْسَ شَيْءٌ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ»[1].

والحديث التالي يؤكد لنا ما نريد إثباته من أن الأخلاق الفاضلة دليل على إيمان من يتخلق بها:

عن عطاء عن ابن عباس، لما دخل رسول الله ﷺ على الأنصار، فقال: «أَمُؤْمِنُونَ أَنْتُم؟» فَسَكَتُوا، فَقَالَ عمر: نعم يَا رَسُول الله قَالَ «وَمَا عَلامَة إيمَانكُمْ؟» قَالُوا: نشكر عَلَى الرخَاء وَنَصْبِر عَلَى الْبلَاء وَنَرْضَى بِالْقضَاءِ، فَقَالَ ﷺ: «مُؤمنُونَ وَرب الْكَعْبَة»[2].

هكذا اعتبر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذه الأخلاق الكريمة من شكر على النعمة، وصبر على البلوى، ورضا بما قضى الله وقدر أمارات وعلامات على وجود الإيمان بالله جل في علاه.

وننتقل إلى بيان صلة الأخلاق بالعبادات التي شرعها الإسلام، فنجد أن هذه العبادات هدفها وغايتها السمو الخلقي بالمسلم.

إن أهم عبادة شرعها الإسلام. وأول ما يحاسب عليه المسلم يوم القيامة، وهي الصلاة، الحكمة التي من أجلها شرعت هي للإبعاد عن الرذائل، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

---

(١) أخرجها أحمد في مسنده ١٢/ ٦٧١٨ رقم ٢٨٢٠١.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٩/ ١٦٣ رقم ٩٤٢٧.



ويقول الله تعالى في حديثه القدسي: «إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِي وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِي وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِي ذِكْرِي، وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالْأَرْمَلَةَ، وَرَحِمَ الْمُصَابَ ذَلِكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ أَكْلَؤُهُ بِعِزَّتِي وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلَائِكَتِي، أَجْعَلُ لَهُ فِي الظُّلْمَةِ نُورًا وَفِي الْجَهَالَةِ حِلْمًا، وَمَثَلُهُ فِي خَلْقِي كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْجَنَّةِ»(١).

هكذا يتقبل الله الصلاة ممن أثمرت فيه تواضعًا ورحمة وخلقًا طيبًا، أما ذلك الشخص الذي لم يستفد من صلاته خلقًا كريمًا، فإنه بعيد عن الله، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا»(٢).

ذلك لأن الشأن في الصلاة أن تكفر الخطايا، وتمحو السيئات، وتطهر المسلم أولًا بأول من سوء الأخلاق. كما أوضح ذلك رسول الله ﷺ عندما سأل أصحابه:

«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ. قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا»(٣).

---

(١) أخرجه البزار في مسنده ١١/ ١٢٩ رقم ٤٨٥٥ من حديث ابن عباس .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٥٤ رقم١١٠٢٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب مواقيت الصلاة - باب الصلوات الخمس كفارة ١/ ١١٢ رقم٥٢٨ من حديث أبي هريرة.

وقد روى البخاري عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

قَالَ الرَّجُلُ: أَلِيَ هَذِهِ؟ قَالَ: لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي»[١].

والغاية والهدف من فرض الزكاة: التطهير، والتزكية، والتكافل الاجتماعي، بتعليم المسلم الرحمة والرأفة بإخوانه المسلمين المحتاجين، قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

أي: خذ من أموال المؤمنين صدقة محددة، وهي الزكاة الواجبة، أو غير محددة، وهي صدقة التطوع تطهرهم بها من الأخلاق الذميمة، كالبخل والطمع والقسوة، وتزكي بها أنفسهم، وتسمو بها إلى الخير.

وقد وسع الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في معنى الصدقة، فلم يجعلها تقتصر على المال فقط، بل تشمل أمورًا عديدة متنوعة.

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ»[٢].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ ٦/ ٧٥ رقم ٤٦٨٧ ومعنى زلفًا من الليل أي ساعات بعد ساعات.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في طلاقة الوجه وحسن البشر٣/ ٥١٥ رقم١٩٧٠، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.



وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»(١).

والغاية والهدف من فرض الصيام الوصول بالمسلم إلى التقوى التي هي جماع الأخلاق الفاضلة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾

[البقرة:١٨٣].

والرسول ﷺ يوضح أن الهدف من الصوم هو البعد عن الرذائل الخلقية، فيقول: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»(٢).

ويقول: «الصيام جنة»(٣). «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَجْهَلْ، فَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ»(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في صنائع المعروف٣/ ٥٠٦ رقم١٩٥٦، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم - باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم ٣/ ٢٦ رقم ١٩٠٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصيام - باب فضل الصيام ٣/ ١٥٧ رقم: ١١٥١.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصوم - باب الغيبة للصائم ٢/ ٢٨٠ رقم٢٣٦٣.

فانظر كيف بَيَّن الرسول أن الصوم جنة أي: وقاية للمسلم من الأخلاق الذميمة، وكيف نصح ﷺ الصائم بألا يرفث بأن يتكلم الكلام الفاحش، وألا يجهل بأن يفعل الفعل القبيح، فإن اعتدى عليه شخص، فليقل له، وليقل لنفسه أيضًا: إني صائم، وصومي يحجبني عن سوء الخلق، وعن مقابلة السيء بالسيء.

والغاية والهدف من تأدية فريضة الحج، وتحمل مشاقه ومصروفاته هي أيضًا التحلي بمكارم الأخلاق، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[البقرة:١٩٧].

لذلك كان جزاء من حج، وتجنب الرفث، والفسوق، والجدال، أي: تجنب الأخلاق السيئة أن يمحو الله سيئاته، ويرجع طاهرًا نقيًا، كيوم ولدته أمه، وتكون الجنة جزاءه يوم القيامة.

قال ﷺ: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(١).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ»(٢).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان كتاب الحج - باب فضل الحج والعمرة - ذكر مغفرة الله جَلَّوَعَلَا ما تقدم من ذنوب العبد بالحج الذي لا رفث فيه ولا فسوق ٩/ ٧ رقم ٣٦٩٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه أبواب العمرة - باب وجوب العمرة وفضلها ٣/ ٢ رقم: ١٧٧٣.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ دُونَ الْجَنَّةِ»[1].

ويتحدث عمرو بن العاص عن إسلامه فيقول: فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ. قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟»[2]

هكذا وضح لنا أن هدف العبادات التي شرعها الإسلام من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج هو السمو الخلقي للإنسانية.

وهناك أمر آخر جدير بالذكر، وهو أن هذه العبادات إذا لم تلازمها، وتقترن بها أخلاق حميدة، وسجايا فاضلة، تصبح لا فائدة فيها، ولا جدوى منها.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه كتاب المناسك - باب الأمر بالمتابعة بين الحج والعمرة ٤/ ٢٢٢ رقم: ٢٥١٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ١/ ٧٨ رقم١٢١.



الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى عَنْهُ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[(١)].

فهذا الشخص وإن كان قد أدى هذه العبادات: الصلاة، والصيام، والزكاة، لكنها اقترنت ببعض الرذائل الخلقية من سب، وشتم، وقذف، وظلم، واعتداء على حقوق الآخرين، فكانت نهايته كما صورها لنا رسول الله ﷺ.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل: يا رسول الله إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ»[(٢)].

فالمرأة الأولى تكثر من صلاة النافلة، ومن صدقة التطوع، ومن الصيام المستحب، لكن الرسول حكم عليها بأنها ستدخل النار!

لماذا؟ لأن هذه العبادات المتنوعة الكثيرة، لم يصحبها خلق حسن، إنما كان معها خلق ذميم، وهو الإساءة إلى الجيران باللسان.

---

(١) أخرجه البيهقي السنن الكبرى كتاب الغصب - باب تحريم الغصب وأخذ أموال الناس بغير حق ٦/ ٩٣ رقم: ١١٦٢١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٢٠٢٣ رقم: ٩٨٠٦.



أما المرأة الثانية، فهي لا تصوم تطوعًا إلا قليلًا، ولا تصلي نفلًا كثيرًا، وتتصدق صدقة بسيطة، بقطع الجبن القليلة، ومع ذلك حكم الرسول ﷺ لها بدخول الجنة.

لماذا؟ لأنها تمسك لسانها عن الفحش، وتحافظ على حقوق جيرانها.

وقد سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، قَالَ: وَمَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟ قَالَ: «الأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ»[1].

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»[2].

أي: الصائم للنهار، القائم الليل بالصلاة والذكر والدعاء.

بهذا البيان من القرآن الكريم، ومن السنة المطهرة يتضح لنا: **ارتباط «أخلاقنا» بعقيدتنا.**

وارتباط «أخلاقنا» بعبادتنا.

ونختم هذا الفصل بهذه الآية المباركة من كلام ربنا عَزَّ وَجَلَّ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩﴾[الحج: ٧٧].

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١/ ١١٠ رقم٢٩٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في حسن الخلق ٤/ ٤٠٠ رقم٤٧٩٨.



الفَصْلُ الرَّابِع

الخلق والتخلق

الخلق والتخلق

تعريف الخلق:

١ - المعنى اللغوي: يقول صاحب «مختار الصحاح»: الخلق بسكون اللام وضمها: السجية، ويقول الفيروز آبادي في «القاموس المحيط»: الخلق بالضم وبضمتين: السجية، والطبع، والمروءة، والدين.

ويقول في «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»: «بصيرة في الخلق، وهو التقدير، وقيل التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء. قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: أبدعهما بدلالة قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء. قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾.

وليس الخلق بمعنى الإبداع إلا لله تعالى، ولهذا قال تعالى في الفصل بينه وبين غيره: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل:١٧].

وأما الذي يكون بالاستحالة، فقد جعله الله لغيره في بعض الأحوال، كعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيث قال: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [المائدة:١١٠].

والخلق لا يستعمل في جميع الناس إلا على وجهين:

أحدهما - في معنى التقدير.

والثاني - في الكذب نحو قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧] وكل موضع استعمل فيه الخلق في وصف الكلام، فالمراد به الكذب.

والخَلق والخُلق في الأصل واحد، كالشرب والشرب، والصرم والصرم، ولكن خص الخَلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة. قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:٤] قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لعلى دين عظيم، لا دين أحب إليّ، ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام.

وقال الحسن: هو أدب القرآن.

وقال قتادة: هو ما كان يؤتمر به من أمر الله، وينتهي عنه من نهى الله.

والمعنى: إنك لعلى الخلق الذي آثرك الله تعالى به في القرآن.

وفي الصحيحين: أن هشام بن حكيم سأل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»[1].

واعلم أن الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١١/ ٦١٠٣ رقم: ٢٥٩٣٩.



وقيل: حسن الخلق: بذل الندى، وكف الأذى.

وقيل: فك الكف، وكف الفك.

وقيل: بذل الجميل، وكف القبيح.

وقيل: التخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل[1].

وقد وردت كلمة «خلق» في القرآن الكريم في موضعين:

الموضع الأول - وهو ما ذكره «الفيروز آبادي» وهو قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ④﴾ [القلم:٤] وقد فسره المفسرون بما سبق ذكره في النص السابق[2].

وقد ذكر «الرازي» في تفسيره لهذه الآية كلامًا طيبًا حيث قال:

«ولما كانت أخلاقه الحميدة كاملة، لا جرم وصفها الله بأنها عظيمة، ولهذا قال: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص:٨٦] أي: لست متكلفًا فيما يظهر لكم من أخلاقي، لأن المتكلف لا يدوم أمره طويلًا، بل يرجع إلى الطبع.

وقال آخرون: إنما وصف خلقه بأنه عظيم، وذلك لأنه تعالى قال له: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠] وهذا الهدى الذي أمر الله تعالى محمدًا بالاقتداء به ليس هو معرفة الله؛ لأن ذلك تقليد، وهو غير لائق بالرسول.

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٢/ ٥٦٦- ٥٦٨.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٤٠٢ وتفسير القرطبي ص٦٧٠٦ وتفسير البيضاوي ص٥٧٨.



وليس هو الشرائع؛ لأن شريعته مخالفة لشرائعهم. فتعين أن يكون المراد منه: أمره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأن يقتدي بكل واحد من الأنبياء المتقدمين فيما اختص به من الخلق الكريم، فكأن كل واحد منهم كان مختصًا بنوع واحد، فلما أمر محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأن يقتدي بالكل، فكأنه أمر بمجموع ما كان متفرقًا فيهم، ولما كان ذلك درجة عالية لم تتيسر لأحد من الأنبياء قبله، لا جرم وصف الله خلقه بأنه عظيم»[1].

الموضع الثاني – في قصة «هود» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عندما دعا قومه إلى عبادة الله وحده، وكان جوابهم: ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[الشعراء:١٣٦-١٣٨].

ومعنى ﴿خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: عادتهم. أي: ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين، وعادتهم، كانوا به يدينون، ونحن بهم مقتدون.

أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر، أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأولين، كانوا يلفقون مثله ويسطرونه[2].

والخلاصة أن الخلق في اللغة يطلق على: الطبع، والسجية، والمروءة، والدين، والعادة.

(١) التفسير الكبير ٣٠/ ٨٠.

(٢) المرجع السابق ٢٤/ ١٥٨.

٢- المعنى الاصطلاحي:

عرف «ابن مسكويه»[١] الخلق بأنه: «حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية. وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيًّا من أصل المزاج... ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر عليه أولًا فأولًا، حتى يصير ملكة وخلقًا»[٢].

وعرف «الغزالي»[٣] الخلق بأنه: «عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية.

فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة، المحمودة عقلًا وشرعًا، سميت تلك الهيئة خلقًا حسنًا.

وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا»[٤].

---

(١) هو أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب المعروف بابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١هـ، أحد فلاسفة الأخلاق الإسلاميين الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية.

(٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص٣١ ط. صبيح.

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي حجة الإسلام المولود سنة ٤٥٠هـ، والمتوفى سنة ٥٠٥هـ، صاحب المؤلفات المختلفة الكثيرة والتي من أجلها كتاب «إحياء علوم الدين».

(٤) إحياء علوم الدين ص١٤٣٤ ط. الشعب.

ونفهم من هذين التعريفين أمورًا منها:

- **الخلق حال النفس، أو هيئة للنفس،** أي: أنه صفة للجانب النفسي من الإنسان، كما أن الخلق - بفتح الخاء - صفة للجانب الجسدي منه.

- هذه الصفة النفسية لابد أن تكون راسخة، أي: ثابتة غير عارضة، فهي تمثل عادة لصاحبها تتكرر كلما حنت فرصتها، فالبخيل الذي يتصدق مرة في حياته لا يعتبر كريمًا.

- هذه الصفة النفسية الراسخة الثابتة تصدر الأفعال عنها بسهولة ويسر، أي: من غير تكلف، فالشخص الفاجر الذي يتكلف الحياء والعفة، ليس حييًا ولا عفيفًا.

وصدور الأفعال عن هذه الهيئة أو الملكة النفسية يكون من غير فكر ولا روية، أي: من غير تردد، ومن غير تأخير عن الوقت المناسب، لأن الخلق صار عادة له، يفعله تلقائيًا بدون جهد ذهني، وإن كان يعمل عقله في تخير جهته، فالكريم لا يتردد عند العطاء والبذل، لكنه يتخير جهة الخير، أو نوعه، أو الشخص الذي يمنحه، أو الجهة التي تستحق العطاء، فالفكر يبذل في توجيه الخير وجهة معينة دون أخرى.

- **الخلق منه ما هو طبيعي،** أي: فطري يولد الإنسان مزودًا به: كالحلم، والحب، والحياء، كما ورد في حديث أشج عبد القيس: «قال لي النبي ﷺ: إِنَّ فِيكَ خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ. قُلْتُ: مَا هُمَا؟ قَالَ: الْحِلْمُ وَالْحَيَاءُ، قَالَ: أَقَدِيمًا

كَانَا أَوْ حَدِيثًا؟ قَالَ: لَا، بَلْ قَدِيمًا. قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ»[1].

وفي رواية: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا، أَمِ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ»[2].

ومن الخلق ما هو مكتسب، ينشأ من التعود والتدرب والبيئة، كالجبن أو الشجاعة.

- لفظ «الخلق» يطلق على المحمود، وعلى المذموم، ولذلك يحتاج إلى التحديد والتقييد، فيقال: «خلق محمود» أو «خلق مذموم» مثلًا.

- والخلق تسبقه عمليات نفسية يكون هو الخطوة الأخيرة لها - وبيان ذلك:

أول ما يرد على قلب الإنسان الخاطر، وهو حديث النفس، ونفس الإنسان تحدثه بأمور كثيرة، قد يميل إلى أحدها.

فالميل: هو توجه الإنسان لخاطر من خواطره يتصوره، ويدرك الغرض منه، والغاية المترتبة عليه. فإذا تغلب ميل على سائر ميول الإنسان، صار هذا الميل رغبة.

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى كتاب النعوت - الحب والكراهية ٧/ ١٥٩ رقم ٧٦٩٩.
(٢) أخرجها أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في قبلة الرجل ٤/ ٥٢٥ رقم٥٢٢٥.

فالرغبة: هي تغلب ميل على بقية الميول الموجودة في النفس الإنسانية، فإذا فكر الإنسان في هذه الرغبة ودرسها دراسة واعية، وعزم عليها، صارت هذه الرغبة إرادة.

فالإرادة: هي صفة النفس التي تخصص رغبة من الرغبات التي مالت إليها النفس لكي تتحقق وتوجد، فإذا ما تكررت الإرادة صارت عادة.

فالعادة: هي الإرادة التي تتكرر وتصدر عن حالة راسخة، هي الخلق.

فهذه هي مراحل تكون الخلق: الخاطر، فالميل، فالرغبة، فالإرادة، فالعادة[١].

الخلق والسلوك:

يطلق السلوك على عمل الإنسان الصادر عن إرادة حرة المتجه نحو غاية معينة مقصودة، وكذلك الأعمال شبه الإرادية.

فهو لا يشمل عمل الحيوان أو النبات، ولا يشمل أعمال الإنسان التي لا حرية له فيها، ولا إرادة، كفعل المكره، والمجنون، والسكران.

علاقة الخلق بالسلوك:

إذا كان الخلق صفة النفس الباطنة، وهو يدرك بالبصيرة، والسلوك هو صورة النفس الظاهرة، وهو يدرك بالبصر، فإننا نستطيع أن نقول: إن العلاقة بينهما هي علاقة الدال بالمدلول.

---

(١) انظر: تأملات في فلسفة الأخلاق ص٨٨- ٩٠.

فإذا كان سلوك إنسان حسنًا محمودًا، كان خلقه حسنًا محمودًا، وإذا كان سلوكه سيئًا مذمومًا، كان خلقه كذلك سيئًا مذمومًا.

هذا إذا لم توجد أسباب خارجية تؤثر على السلوك، فتجعله لا يدل دلالة صادقة على الخلق، كمن يتصدق رياء أو ملقًا لبعض الحاضرين.

وأيضًا إذا لم توجد موانع تمنع من دلالة السلوك على الخلق، كالشخص الكريم الذي لا يجد ما يجود به - والشجاع الذي لا يجد فرصة لظهور شجاعته.

بناء الخلق:

ذكرنا فيما سبق أن من الأخلاق ما يولد الإنسان مزودًا به، ومنها ما يكتسبه الإنسان من بيئته، وفيما يلي نعرض لأهم الوسائل التي تساعد في تربية الأخلاق الفاضلة:

الوسيلة الأولى: الوعظ والنصيحة:

الوعظ هو التعريف بالخلق الفاضل، والحث على امتثاله، وبيان الخلق السيء، والتنفير منه، هو: «التذكير بالخير بما يرقق القلب»[1].

قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥].

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٥/ ٢٤٠.



وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء:٥٨].

وقال عزّوجلّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾[النساء:٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾ [النساء:٦٦].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾

[النساء:٣٤].

وقال عزّوجلّ: ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾[الأعراف:١٦٤].

أما النصيحة فهي: «كلمة جامعة مشتقة من مادة «ن ص ح» الموضوعة لمعنيين:

أحدهما: الخلوص والبقاء، والثاني: الالتئام والرفاء، يقال: نصح الشيء: إذا خلص، ويمكن أن يكون النصح والنصيحة من هذا المعنى، لأن الناصح يخلص للمنصوح له عن الغش.

والمعنى الثاني: نصح الثوب نصحًا: خاطه... ويمكن أن تكون النصيحة من هذا المعنى؛ لأن الناصح يرفأ ويصلح حال المنصوح له، كما يفعل الخياط بالثوب المحروق»(١).

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:٩١].

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(٢).

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»(٣).

هكذا يتكرر ذكر الموعظة والنصيحة في القرآن والسنة المطهرة باعتبار أنهما من أهم وسائل تربية الخلق وتكوينه، وكثيرًا ما يأمر القرآن بالتذكير فيقول: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات:٥٥] ويقول: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

[سورة ق:٣٧].

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٥/ ٦٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان - باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ١/ ٥٣ رقم٥٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله ٦/ ٤١ رقم ١٨٩٣.

والموعظة قد تكون مباشرة، وقد تأتي من خلال قصة، وقد تأخذ صورة المثل، وقد تتضح من خلال حوار:

أ. فمن الموعظة المباشرة نصيحة لقمان لابنه:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[لقمان:١٣-١٩].

ب. واستخدام أسلوب القصة في الوعظ والنصيحة قد كثر وروده في القرآن والسنة «والإسلام يدرك هذا الميل الفطري إلى القصة، ويدرك مالها من تأثير ساحر على القلب، فيستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم.

وهو يستخدم كل أنواع القصة: القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها، والقصة الواقعية التي تعرض نموذجًا لحالة

بشرية، فيستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين، أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك النموذج، والقصة التمثيلية التي لا تمثل واقعة بذاتها، ولكنها يمكن أن تقع في أية لحظة من اللحظات وفي أي عصر من العصور.

فمن النوع الأول كل قصص الأنبياء، وقصص المكذبين بالرسالات وما أصابهم من جراء هذا التكذيب، وهي قصص تذكر بأسماء أشخاصها أماكنها وأحداثها على وجه التحديد والحصر: موسى وفرعون، عيسى وبني إسرائيل، صالح وثمود، هود وعاد، شعيب ومدين، لوط وقريته، نوح وقومه، إبراهيم واسماعيل إلخ.. إلخ.

ومن النوع الثاني، قصة ابني آدم: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[المائدة:٢٧-٣٠].

ومن النوع الأخير قصة صاحب الجنتين: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ

إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى
خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ
أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن
تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا
حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ
طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٣٢-٤٣].

هكذا يستخدم القرآن الكريم القصة بأنواعها المتعددة في بناء الخلق، ومن يطلع على السنة المطهرة يجد نماذج عديدة لهذا الأسلوب.

جـ. وضرب الأمثال أسلوب بارع من أساليب الوعظ والنصيحة، ومن ذلك ما جاء في الكتاب الكريم عن الكلمة الطيبة كلمة الحق والإسلام، والكملة الخبيثة كلمة الباطل والشرك: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً
طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ
حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ
كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾

[إبراهيم: ٢٤-٢٦].

وعندما أراد الرسول ﷺ أن يلقن أصحابه درسًا في الرحمة، وأن يبين لهم شيئًا من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، ورأى أمامه امرأة ترضع ولدها، وتضمه إليها

رحمة به وشفقة عليه، سأل أصحابه: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟

قالوا: لا والله، وهي تقدر على أن لا تطرحه.

قال رسول الله ﷺ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»(١).

وحينما أراد أن يلقنهم درسًا آخر في التعاطف والتكافل الاجتماعي، قال لهم: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»(٢).

د. وأسلوب الحوار من أسئلة وأجوبة يجذب انتباه السامع للموعظة التي تأتي من خلاله، ومن ذلك ما جاء في خطبة الوداع. عندما سأل الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ (قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ:) وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب - باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ٨/ ٨ رقم ٥٩٩٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ٨/ ٢٠ رقم ٢٥٨٥.

كُفَّارًا (أَوْ ضُلَّالًا) يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»(١).

وعلى الواعظ أن يراعي حال الإنسان الذي يعظه، وأن يتخير الموعظة التي تناسب عمره، والنصيحة التي تلائم ظروفه، وأن لا يطيل في الوعظ. فيمل السامع.

فقد روى جابر بن سمرة قال: «كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا. وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا»(٢).

والقصد هو الاعتدال بين الطول والقصر.

وفي حديث آخر له: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِنَّمَا هُنَّ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ»(٣).

وقال عبد الله بن مسعود: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٥/ ١٠٧ رقم ١٦٧٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٣/ ١١ رقم ٨٦٦.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة، باب إقصار الخطب ١/ ٤٣٢ رقم ١١٠٧.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة ٨/ ١٤٢ رقم ٢٨٢١.

هكـذا كـان مـنهج نبينـا محمـد صـلوات الله وسـلامه عليـه في الـوعظ والنصيحة.

الوسيلة الثانية: تعود الخلق الفاضل:

يولد الإنسان صفحة بيضاء، مستعدًا لقبول الخير، أو قبول الشر، قال تعـالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٧-١٠] وتحدث القرآن عن الإنسـان فقـال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:٨-١٠] وقد فسر الإمام البخاري النجدين بأنهما طريقا الخير والشر[(١)].

وعندما وصف القرآن الدين الإسلامي بأنه دين الفطرة قال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم:٣٠].

ذكر بعد ذلك بعض الصفات التي تؤدي إلى تزكية الفطرة الإنسانية وتطهيرها مما قد يشوبها أو يلوثها فقال: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣١-٣٢].

فالإنابة إلى الله، وتقواه، وإقامة الصلاة، والبعد عن مظاهر الشرك، كل ذلك يصون الفطرة، ويدفعها إلى الخير والفضيلة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: سورة لا أقسم – الفتح ٨/ ٧٠٣.

من هنا كانت أهمية التدرب والتعود على فعل مكارم الأخلاق حتى تصير «عادة» للمسلم سهلة ميسرة، ولعل هذا بعض ما يفهم من حديث رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «الْخَيْرُ عَادَةٌ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ، مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(١).

والإسلام يستخدم العادة وسيلة من وسائل التربية، فيحول الخير كله إلى عادة، تقوم بها النفس بغير جهد، وبغير كد، وبغير مقاومة.

وفي الوقت ذاته يحول دون الآلية الجامدة في الأداء، بالتذكير الدائم بالهدف المقصود من العادة، والربط الحي بين القلب البشري وبين الله، ربطًا تسري فيه الإشعاعة المنيرة إلى القلب، فلا ترين عليه الظلمات.

وقد بدأ الإسلام - وهو ينشأ في الجاهلية - بإزالة العادات السيئة التي وجدها سائدة في البيئة العربية، واتخذ لذلك إحدى وسيلتين: إما القطع الحاسم الفاصل، وإما التدرج البطيء، حسب نوع العادة التي يعالجها وطريقة تمكنها من النفس.

فكل عادة تتصل بأصل التصور والعقيدة والارتباط المباشر بالله، فقد قطعها قطعًا حاسمًا من أول لحظة، فهي كالأورام الخبيثة في الجسم، ينبغي أن تستأصل من جذورها، وإلا فلا حياة.

والشرك بكل عاداته وتصوراته، من عبادة للأوثان، واجتماع حولها وأداء

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه أبواب السنة - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/ ١٤٩ رقم ٢٢١، واللجاجة: الخصومة.

لمراسم معينة من أجلها... كل ذلك قطعه من أول لحظة، وبضربة حاسمة، لأنه لا يمكن أن يستقيم إيمان وشرك..

وعادة مثل وأد البنات، لم يكن يمكن مهادنتها، وهي تقوم على أساس غير إيماني ولا إنساني، والخوف من الفقر - وهو الدافع الأول لوأد البنات - لا يجوز أن يخالط النفس المؤمنة المطمئنة إلى الله، ثم إنه ظلم لا يستقيم مع «الحق» الذي خلقت به السماوات والأرض ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[التكوير:٨-٩].

وكذلك العادات النفسية من كذب وغيبة ونميمة وغمز ولمز وكبر وعنجهية.. إلخ.

كان لا بد من مواجهتها مواجهة حاسمة، وإن كانت الوسيلة إلى ذلك هي التوجيه المحي للقلب، والاتصال بالله في السر والعلن، وفي الأخذ والعطاء.

وكلها عادات يمكن أن تنتقل فيها النفس - باللمسة الموحية - في لحظة واحدة من أقصى الشمال لأقصى اليمين دون تدرج ولا إبطاء!

أما العادات «الاجتماعية» التي لا تقوم على مشاعر «الفرد» وحدها، وإنما ترتبط بأحوال اجتماعية واقتصادية متشابكة، فقد لجأ فيها إلى التدرج البطيء مع استمرار الوعظ والتوجيه واستحياء القلوب.

الخمر، والزنا، والربا، والرق.. لم تكن عادات «فردية» وجدانية بقدر

ما كانت عملة سارية في المجتمع، وهي كذلك ليست من العادات التي تستطيع كل نفس أن تحسم موقفها منها في لحظة، فلا يعاودها الحنين إليها ولا تعود!

لذلك لجأ في علاج كل منها إلى التدرج على مراحل ودرجات، أو أخر تحريمها حتى اكتمل نمو المجتمع المسلم».

هكذا كان موقف الإسلام من «العادات» التي كانت موجودة في البيئة الجاهلية أيام نزول القرآن.

وأسلوب «العادة» من أنجح الأساليب في بناء الخلق الكريم، ويكون أكثر تأثيرًا وأوضح نتائج إذا استخدم في غرس الأخلاق الفاضلة مع السن المبكر للإنسان أي: في مرحلة الطفولة.

كما قال الشاعر:

وَينشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ فينا … على ما كان عَوَّدَهُ أبوهُ
وما دانَ الفتى بِحِجًي ولكن … يُعَلِّمُهُ التَّدَيُّنَ أقرَبُوهُ

وكما قال آخر:

قد يَنْفَعُ الأدب الأولاد في صغر … وليس يَنفعهم من بعده أدب
إنَّ الغصونَ إذا عدلتها اعتدلت … ولا تلين ولو لينته الخشب

فتعويد الطفل من صغره على الخير يكسبه محبة له، فيصير له عادة، يقول الإمام أبو حامد الغزالي:

«والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه، نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر، وأهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه، والوالي له.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم:٦] ومهما كان الأدب يصونه من نار الدنيا، فبأن يصونه من نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق..»[(١)].

ويشرح لنا الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كيفية الوصول إلى حسن الخلق، فيرى أن ذلك يحصل على وجهين:

أحدهما - بجود إلهي، وكمال فطري، بحيث يخلق الإنسان، ويولد كامل العقل، حسن الخلق...

الوجه الثاني - اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة، وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب.

فمن أراد مثلًا أن يحصل لنفسه خلق الجود، فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد، وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه، ويواظب عليه تكلفًا، مجاهدًا نفسه فيه، حتى يصير ذلك طبعًا له، ويتيسر عليه، فيصير به جوادًا.

---

(١) الإحياء ٨/ ١٤٦٨.

وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع، وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة، وهو فيها مجاهد نفسه ويتكلف، إلى أن يصير ذلك خلقًا له وطبعًا، فيتيسر عليه.

وجميع الأخلاق المحمودة شرعًا تحصل بهذا الطريق، وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذًا، فالسخي: هو الذي يستلذ بذل المال الذي يبذله، دون الذي يبذله عن كراهة، والمتواضع: هو الذي يستلذ التواضع.

ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس، ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة، وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة، ويتنعم بها، ويكره الأفعال القبيحة، ويتألم بها، كما قال ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[1].

هكذا يمكن أن تستخدم «العادة» في تكوين الأخلاق الفاضلة.

الوسيلة الثالثة - صداقة الأخيار:

للصداقة أثرها البالغ في تكون الخلق، فإذا كان الصديق صالحًا تقيًا، كان له دوره في ظهور الخلق الفاضل المحمود، وإذا كان الصديق فاجرًا منحرفًا عن منهج الله، كان له أثره في وجود الخلق السيء المذموم.

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»[2].

---

(١) أخرجه النسائي في سننه كتاب عشرة النساء - باب حب النساء ١/ ٧٧٩ رقم: ٣٩٥٠.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ١٧٦٩ رقم ٨٥٣٣.

وقال ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»(١).

وقال عدي بن زيد:

عن المرء لا تسلْ وسل عن قرينه ... فكلُ قرينٍ بالمقارن يقتدي

إذا كنتَ في قومٍ فَصَاحِب خيارَهُمْ ... ولا تَصْحبِ الأردَي فَتَردى من الرَّدي

والإيمان أول الشروط وأهمها في الصديق: قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[الكهف:٢٨]، وقال سبحانه: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾[النجم: ٢٩]، وقال عزّوجلّ: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾[النساء: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾[الفرقان:٢٧-٢٩].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب - باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ٨/ ٣٧ رقم ٢٦٢٨.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»(١).

ولا بد أن يكون الصديق عاقلًا حكيمًا، فلا خير في صداقة الحمقى، فقد يريد الأحمق أن ينفعك فيضرك بحمقه وجهله، قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فلا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى ... حليمًا حين آخاه

يقاس المرء بالمرء ... إذا ما المرء ما شاه

وللشيء من الشيء ... مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه

وينبغي أن يكون الصديق حميد الأخلاق، حسن السلوك، طيب العشرة، يؤثر الخير على الشر، ويعين على طاعة الله تعالى. إن نسي صديقه ذكره، وإن ذكر أعانه، لأن سيء الخلق عدو نفسه، فكيف يكون صديق غيره!!

«قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحث على طلب التدين في الصديق، فيما رواه سعيد بن المسيب قال: عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم؛ فإنهم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه، حتى يجيئك ما يغلبك منه، واعتزل عدوك، وأحذر صديقك إلا الأمين من القوم، ولا أمين إلا من

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب - باب من يؤمر أن يجالس ٤/ ٤٠٧ رقم ٤٨٣٢، والترمذي في جامعه أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في صحبة المؤمن ٤/ ٢٠١ رقم ٢٣٩٥، وقال: هذا حديث حسن.

خشى الله، فلا تصحب الفاجر، فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى.

وأما حسن الخلق، فقد جمعه علقمة العطاردي في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال: يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى سيئة سدها، اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتداك. وإن نزلت بك نازلة واساك، اصحب من إذا قلت صدق قولك، وإن حاولتما أمرًا أمرك، وإن تنازعتما آثرك.

وقال بعض الأدباء: لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرك، ويستر عيبك، ويكون معك في النوائب، ويؤثرك بالرغائب، وينشر حسنتك، ويطوي سيئتك، فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك»[١].

وكلما كان الصديق مخلصًا في صداقته، صادقًا في صحبته، كان أثره في بناء الخلق الحميد أبلغ وأعظم؛ لأنه سيكون رقيبًا على صديقه، يلاحظ أحواله وأفعاله، فيشجعه على الخير، وينبهه ويحذره من الشر.

«كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: رحم الله امرأ أهدى إليَّ عيوبي، وكان يسأل سلمان عن عيوبه.

(١) إحياء علوم الدين ص٩٤٩-٩٥٠.

وكان يسأل حذيفة ويقول له: أنت صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين، فهل ترى عليَّ شيئًا من آثار النفاق؟

فهو على جلالة قدره، وعلو منصبه، هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلًا، وأعلى منصبًا كان أقل إعجابًا، وأعظم اتهامًا لنفسه»[1].

الوسيلة الرابعة - الثواب أو العقاب:

وهذا عامل هام من عوامل بناء الخلق الفاضل، وتكون السلوك الحميد، فللمحسن جزاؤه على التزامه بمكارم الأخلاق. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٧].

وقال سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر:١٠].

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

وهذه الآيات تشير إلى ثواب المحسنين في الدنيا، وهناك آيات كثيرة تبين ثوابهم في الآخرة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

---

(١) إحياء علوم الدين ص١٤٥٤.

﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[الحج:٢٣-٢٤].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٦٢].

وعلى مربي النشء الذي يريد أن يغرس فيهم الأخلاق الفاضلة، ويؤسس فيهم الصفات الحميدة، أن يستخدم أسلوب المثوبة المادية والمعنوية لتحقيق غرضه، فتارة يثني على من يتخلق بالأخلاق المحمودة، وتارة يمنحه الجوائز المالية، وتارة يهبه الهدايا المادية، وتارة يجعل له القيادة على زملائه، فيشد ذلك من أزره، ويشجع أقرانه على التزام مكارم الأخلاق، فهذا منهج الإسلام.

وإذا كان للمثوبة دورها، فكذلك للعقوبة أثرها.

و«العقوبة» وهي درجات، وينبغي أن لا نلجأ إلى الأشد منها إلا بعد فشل الأخف مع مراعاة الظروف والملابسات. ومن أنواع العقوبة:

أ. **التأنيب والتوبيخ**: كما حدث من الرسول ﷺ للصحابي الجليل أبي ذر عندما سبه رجل، فرد عليه بأن عيره بأمه، وقال له: يا ابن السوداء.

روى الإمام مسلم عن المعرور بن سويد قال: مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعلى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[1].

ب. **المقاطعة والهجر**: وقد استخدم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هذا الأسلوب في عقاب الصحابة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فقد نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامهم لمدة خمسين يومًا، وبعد أن مضت أربعون من الخمسين شدد العقوبة بأن أمرهم باعتزال زوجاتهم، فلا يقربنهم حتى كمل خمسون ليلة، فنزل قوله تعالى:

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل ٥/ ٩٢ رقم ١٦٦١.

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٧-١١٩].

جـ. **الضرب:** وهو عقوبة يقرها الإسلام ويعترف بها، ولكن بعد أن تفشل الوسائل الأخرى في العلاج: كما ورد في علاج الزوجة الناشز التي لا تطيع زوجها. قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[النساء:٣٤].

والضرب علاج للأبناء الذين لا يصلون بعد أن تعجز أساليب الوعظ والنصيحة والإغراء. قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»[(١)].

د. **والتهديد والوعيد:** لون من ألوان العقاب، والإسلام، يستخدم التخويف والترهيب بجميع درجاته من أول التهديد إلى التنفيذ.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ١/ ١٨٥ رقم ٤٩٥.



فهو مرة يهدد بعدم رضاء الله.. وذلك أيسر التهديد، وإن كان له فعله الشديد في نفوس المؤمنين:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[الحديد:١٦].

ومرة يهدد بغضب الله صراحة «كما جاء في حديث الإفك» وتلك درجة أشد:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[النور:١٤-١٧].

ومرة يهدد بحرب الله ورسوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

ومرة يهدد بعقاب الآخرة:

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾[الفرقان:٦٨-٦٩].

ثم يهدد بالعقاب في الدنيا:

﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة:٣٩].

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الفتح:١٦].

﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [التوبة:٧٤].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [التوبة:٥٥].

ثم يوقع العقاب:

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢].

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾ [المائدة:٣٨].

وسنعود - إن شاء الله - لنستكمل الحديث عن العقوبات التي شرعها الإسلام في الفصل القادم عند حديثنا عن «حماية أخلاقنا».

الوسيلة الخامسة - الأسوة:

«يتحدث فلاسفة الأخلاق عن المثل الأعلى ويختلف كل فيلسوف عن الآخر في تصور مثله الأعلى، فتتعدد المثل بتعدد رءوس أصحابها»[1].

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل:٦٠].

وقال المفسرون: «إن المراد بالمثل الأعلى في الآية: الصفة المقدسة المنزهة عن المماثلة، ثم اختلفت تفاسيرهم لهذه الصفة بين قائل إنها الوجوب الذاتي، وقائل، إنها المتنزه عن الولد، وقائل: إنها الغنى عن الآخرين، وغير ذلك»[2]، وإذا كان الاشتراك في اللفظ لا يوجب المماثلة، فلا مانع من إطلاق «المثل الأعلى» على غير الله تعالى مع اختلاف المعنى، فما هو المثل الأعلى للمسلم؟

إن القرآن الكريم يجيب على هذا السؤال فيقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾

[الأحزاب:٢١].

إن رسول الله ﷺ هو المثل الأعلى للمسلم، والأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة.

---

(١) انظر في ذلك: الأخلاق لأحمد أمين ص٨٧-٩١.

(٢) انظر: تفسير الرازي ٢١/ ٥٦ وتفسير القرطبي ص٣٧٣٥.



والقدوة من أنجح أساليب تكون الخلق.

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما أراد إنزال المنهج الأخلاقي في القرآن يسمع ويقرأ، أراد أيضًا أن يكون سلوك الرسول تطبيقًا لهذا المنهج يحس ويشاهد!!

وصدقت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في إجابتها لمن سألها: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»(١).

وذلك أن الله قد أدبه فأحسن تأديبه، ورباه فأحسن تربيته، فكان المثل الأعلى في الكمال البشري.

ألم يكن ﷺ مثلًا أعلى في تحري الصدق وأداء الأمانة، حتى اشتهر بالصادق الأمين؟

ألم يكن مثلًا أعلى في التفاني في سبيل الحق؟ أليس هو القائل: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله، أو أهلك دونه»(٢)؟

ألم يكن مثلًا أعلى في الشجاعة والإقدام؟ «وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ٢/ ١٦٨ رقم ٧٤٦.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٧٢.



إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا»[1].

ألم يكن مثلًا أعلى في الرحمة؟ «عن أنس بن مالك قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ مَعَ أُمِّهِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَيَقْرَأُ بِالسُّورَةِ الْخَفِيفَةِ»[2].

وعن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ، أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ»[3].

وسأله بعض أصحابه أن يدعو على قريش بعد غزوة أحد، فقال: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[4].

وكان المثل الأعلى للزوج، وللوالد، ولرب الأسرة، وكأنه ﷺ قد تخصص في هذا الأمر فقط، ولم تشغله أعباء الأمة، ومشكلات الدولة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل - باب فِي شجاعة النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ وتقدمه للحرب ٧/ ٧٢ رقم ٣٣٠٧ والفرس العري الذي ليس عليه سرج، ولم تراعوا أي: لا تخافوا الضرر.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الصلاة - باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة فِي تمام ٢/ ٤٤ رقم ٤٧٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الآذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي ١٤٣/١ رقم ٧٠٧.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب - باب النهي عَنْ لعن الدواب وغيرها ٨/ ٢٤ رقم ٢٥٩٩.

«سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ»(١)!!

وعن حلمه أسرد هذا المثل الفريد وهو قصة ذلك الأعرابي الذي جبذ رسول الله من ثوبه الخشن جذبة عنيفة، أثرت في عاتقه، وقال: احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرَيَّ هَذَيْنِ، فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ!!

فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «الْمَالُ مَالُ اللهِ. وَأَنَا عَبْدُهُ» ثُمَّ قَالَ: «وَيُقَادُ مِنْكَ يَا أَعْرَابِيُّ مَا فَعَلْتَ بِي»، قَالَ: لَا، قَالَ: «لِمَ» قَالَ: لأَنَّكَ لا تكافىء بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ!!

ثم يأمر الرسول أحد أصحابه: أحمل له على بعيريه هذين: عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرًا، وَعَلَى بَعِيرٍ تَمْرًا(٢)!!

أرأيت إلى هذا الحلم العظيم، وإلى هذا الخلق الكريم!!

إن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ لِلهِ بِهَا»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان - باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج ١/ ١٣٦ رقم ٦٧٦.
(٢) أخرج أصل هذه القصة أبو داود سننه كتاب الأدب - باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ ٤/ ٣٩٣ رقم ٤٧٧٥.
(٣) أخرجه البخاري صحيحه كتاب المناقب - باب صفة النبي ﷺ ٤/ ١٨٩ رقم ٣٥٦٠.



نعم لا ينتقم لنفسه وإن أساء إليه الآخرون، ولكن يحلم، ويصبر، ويصفح!!

وعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»[(١)].

وأما حياؤه فيقول أبو سعيد الخدري: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ»[(٢)].

وكان النبي ﷺ «إِذَا أَتَى بَابًا يُرِيدُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ لَمْ يَسْتَقْبِلْهُ، جَاءَ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِنْ أُذِنَ لَهُ وَإِلَّا انْصَرَفَ»[(٣)].

وقد كان المثل الأعلى في خلق التواضع، يقول أنس بن مالك: «مَا رَأَيْتُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع - باب كراهية السخب في السوق ٣/ ٦٦ رقم ٢١٢٥، و«حرزًا للأميين» أي حصنًا وحفظًا.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ ٧/ ٧٨ رقم ٢٣٢٠، والعذراء: البكر، لأن عذرتها أي: بكارتها باقية، والخدر: الستر.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١/ ٣٧٠ رقم ١٠٧٨.

رَجُلًا الْتَقَمَ أُذُنَ النَّبِيِّ ﷺ فَيُنَحِّي رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأْسَهُ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدَعُ يَدَهُ»(١).

وكان أصحابه إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا ؛ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ (٢).

وكان يمر على الصبيان، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ (٣).

وأتى ﷺ برجل، فأرعد من هيبته، فقال له: «هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ»(٤).

وكان يجلس مَعَ أَصْحَابه مختلطا بهم كَأَنَّهُ أحدهم فَيَأْتِي الْغَرِيب فَلَا يَدْرِي أيهمْ هُوَ؟ حَتَّى يسْأَل عَنهُ (٥).

هكذا كان تواضعه صلوات الله وسلامه عليه!

وماذا ترك رسول الله ﷺ بعد موته من أمور الدنيا؟

عن عمرو بن الحارث ختن رسول الله ﷺ أخي جويرية بنت الحارث

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في حسن العشرة – عون المعبود ٤/ ٣٩٨ رقم ٤٧٩٤.

(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل باب ما جاء في تواضع رسول الله ﷺ ١/ ١٨٧ رقم٣٣٥.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ٢٢٨ رقم ٥١٦٤.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ٢٢٨ رقم ٥١٦٤، والحاكم في مستدركه كتاب التفسير – تفسير سورة ق – دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلم عند سكرات الموت ٢/ ٤٦٦ رقم ٣٧٥٤، وقال: صحيح على شرط الشيخين

(٥) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة – باب في القدر ٤/ ٣٦١ رقم ٤٦٩٨، بلفظ «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَيْ أَصْحَابِهِ فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ».



قال: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا أَمَةً، إِلَّا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً»[1].

ولا نريد أن نسترسل في ذكر جوانب أخرى من شخصية الرسول صلوات الله وسلامه عليه. فإن ما سيأتي من صفحات الكتاب سيضم عديدًا من ذلك.

إنما نؤكد على أن القدوة من أدق وسائل تربية الأخلاق، وأن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو قدوة المسلم:

هو قدوته في بيته، وفي تربيته لأبنائه.

وهو قدوته في عمله، وفي مجال ارتزاقه.

وهو قدوته في مجتمعه، وفي تعامله مع غيره.

هو قدوته في كل ما يأتي، وفي كل ما يدع.

وبهذا تبنى الأخلاق، وبهذا ينصلح حال المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي - باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٦/ ١٥ رقم ٤٤٦١.

الفَصْلُ الخَامِسُ

حماية أخلاقنا

حماية أخلاقنا

هيَّأتْ تشريعاتُ الإسلامِ الجو المناسب للحياة الأخلاقية الفاضلة، بما شمله الإسلام من: نظام اقتصادي كامل، ونظام سياسي محكم، ونظام اجتماعي دقيق، وبما تضمنه من حَثٍّ مُتكرِّرٍ على التزامِ مكارم الأخلاق وحمايتها، وتحذير من ذميم الأخلاق وتنفير منها، وبما حواه من بيان لما يترتب على الأخلاق في الدنيا والآخرة بالنسبة للفرد والمجتمع من نتائج وآثار.

وبالإضافة إلى كُلِّ ذلك، فقد شرع الإسلامُ بعضَ العقوباتِ صيانةً للأخلاقِ الفاضلة، وحمايةً لها:

١- فحفاظًا على الأمانة شرعَ الإسلامُ عقوبةَ السرقة. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[المائدة:٣٨].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْطَعُ السَّارِقَ فِي رُبُعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا»[١].

والدينار في عهد رسول ﷺ يَزِنُ (٤) أربعة جرامات، وعليه فيكون نصاب القطع في السرقة هو ما يساوي قيمته جرامًا واحدًا من الذهب

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصابها ٥/ ١١٢ رقم ١٦٨٤.



الخالص، ويكون التقدير بحسب سعر الذهب وقت وقوع السرقة(١).

وقد شكك أبو العلاء المعري على أهل الشريعة في الفرق بين دية اليد! بخمسمائة دينار عندما يعتدى عليها ظلمًا وبين قطعها في السرقة بربع دينار بقوله:

يَـدٌ بِخَمـسٍ مِئِـينَ عَسْـجَدٍ وُدِيَـت ... مـا بالُهَـا قُطِعَـتْ في رُبْـعِ دينـارِ

فأجابه القاضي عبد الوهاب المالكي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - بقوله:

عِـزُّ الأمانـةِ أغلاهـا، وأرخصَـها ... ذُلُّ الخيانـةِ فـافهم حكمـةَ البـاري

وذكر الإسلام عقوبة السرقة صريحة محددة، لخطورتها ولأنها تتم في الخفاء، فاحتاجت إلى هذا التشديد، وترك الإسلام للحاكم - كما سنذكر - تقدير عقوبة ما يشابه السرقة: كالاختلاس، والنهب، والغصب.

وإذا كانت عقوبةُ السرقةِ قد حُدِّدَت شرعًا، فإنه لا يجوز - متى استكملت الجريمةُ أركانَها وشروطَها - تعطيلُ هذه العقوبة المنصوص عليها أو استبدالها بغيرها من العقوبات، كالحبس والغرامة المالية.

فقد غضب الرسول ﷺ غضبًا شديدًا عندما تشفع أسامة بن زيد إليه في شأن المرأة المخزومية التي سرقت، ورجا الرسول أن يقبل الغرامة المالية من أهلها بدلًا من قطع يدها، وإليك القصة:

---

(١) انظر: السرقة الموجبة للقطع في الفقه الإسلامي. تأليف: عبد الفتاح محمد أبو العينين ص١٣٣.



«عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا!!»[1].

أيُّ قوةٍ هذه!! وأيُّ عظمةٍ تلك!! إن فاطمة بنت محمد قد أعاذها الله أن تسرق. وحاشاها أن تخون، ولكن سيظل التاريخُ يُردِّدُ هذا المثل: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» ما بقي الإسلام، وما بقي في الكون مسلمون!!

ولقد تابت هذه المرأة المخزومية «فاطمة بنت الأسود» قالت السيدة عائشة: «فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَتَزَوَّجَتْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»[2].

لقد تابت، وحسنت توبتُها، وبدأت صفحة جديدة في الإسلام، وهكذا كلُّ مَنْ يُقام عليه حدٌّ من حدود الشرع، إذا تاب قُبِلَتْ توبته، وقُبِلَت شهادته،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء - باب حدثنا أبو اليمان ٤/ ١٧٥ رقم ٣٤٧٥، ومعنى «أهمهم» أي: أقلقهم وأحزنهم، وحب رسول الله أي: محبوبه، وضرب المثل بفاطمة بنته لأنها أعز أهله، ولأنها كانت سميه لها، أي: على اسمها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي - باب وقال الليث حدثني يونس ٥/ ١٥١ رقم ٤٣٠٤.



ولا تبقى جريمته مسطورة في «صحيفة سوابقه» تطارده أينما توجَّه، وتمنعه من مزاولة أي عمل رسمي، بل يبدأ صفحة جديدة مع الله ومع الناس.

٢- وحمايةً للحياء والعفة شرع اللهُ عقوبة للزنا. قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[النور:٢].

وروي عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله طهرني. فقال: ويحك!! ارجع فاستغفر الله وتب إليه. قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله: طهرني فقال رسول الله ﷺ: ويحك! ارجع فاستغفر الله، وتب إليه. قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال يا رسول الله: طهِّرني فقال النبي ﷺ مثل ذلك. حتى إذا كانت الرابعة قال له الرسول ﷺ: فيم أطهرك؟ فقال: من الزنى.

فسأل رسول الله ﷺ: «أبه جنون؟» فأخبر أنه ليس به جنون فقال: «أشرب خمرًا؟» فقام رجل فاستنكهه، فلم يجد منه ريح خمر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أزنيت؟» فقال: نعم. فأمر به فرجم.

فكان الناس فيه فرقتين: قائل يقول: لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئته، وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز. إنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده، ثم قال: اقتلني بالحجارة.

قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلم، ثم جلس، فقال: استغفروا لماعز بن مالك، قال فقالوا: غفر الله لماعز

ابن مالك. قال: فقال رسول الله ﷺ: لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم.

قال: ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت: يا رسول الله، طهرني. فقال: ويحك ارجعي، فاستغفري الله، وتوبي إليه. فقالت: أراك تريد أن تردني كما رددت، ماعز بن مالك قال: وما ذاك؟ قالت: إنها حبلى من الزنى. فقال: آنت؟ قالت: نعم، فقال لها: حتى تضعي ما في بطنك.

قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت.

قال: فأتى النبي ﷺ فقال: قد وضعت الغامدية.

فقال: إذًا لا نرجمها، وندع ولدها صغيرًا، ليس له من يرضعه.

فقام رجل من الأنصار فقال: إليَّ رضاعه يا نبي الله. قال: فرجمها.

وفي رواية له أن النبي قال لها: أذهبي فأرضعيه حتى تفطميه، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها، فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها.

وورد أن النبي ﷺ «صَلَّى عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللهِ وَقَدْ زَنَتْ؟ فَقَالَ: لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلهِ تَعَالَى؟»[1].

---

(١) هذه روايات الإمام مسلم في كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى ٥/ ١٢٠ رقم١٦٩٦، وكلمة «ويحك» كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكه لا يستحقها، =

أرأيتَ هذه النفوس؟! أسمعتَ هذه الدروس؟!

إن الإسلام ليس مولعًا بإقامة الحدود، ولا مُتعطِّشًا إلى إراقة الدماء. كلا.. إن الرسول يطلب من مرتكب الجريمة - أربع مرات - أن يراجع نفسه، فالستر أولى من الفضيحة، فلعل هناك شبهة تدرأ الحدَّ عنه.

لكن المذنب يأتي بنفسه راضيًا صابرًا، لينفذ فيه حكم الله، ولا يحاول الهروب من عقاب الدنيا، فلعل هذا العقاب يجبر كسره، ولعل الله يقبل توبته.

نعم.. لَقَدْ تَابَ «ماعز» تَوْبَةً: «لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ»(١)!!

وتابت «الغامدية» تَوْبَةً: «لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ»(٢)!!

وإقامةُ الحدِّ بهذه الصورة فيه صيانةٌ لحياء المجتمع، وحفاظٌ لعفته، حماية لنقائها وطهارته، فلن يجرأ أحد أن يرتكب هذه الجريمة. لأنه رأى أو سمع عن عقاب فاعلها: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٢].

وكما حرَّم الإسلامُ الزنا حرَّم اللواطَ، قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾

=ومعنى «استنكهه» أي: شم رائحة فمه. ومعنى «كفلها رجل من الأنصار» أي: قام بالإنفاق عليها.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الحدود - باب من اعترف على نفسه بالزنى ٥/ ١١٨ رقم ١٦٩٥.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود الطيالسي في مسنده ٢/ ١٨٢ رقم ٨٩٠.



[الشعراء:١٦٥، ١٦٦]، وقد رتب الشارع عليها عقوبات مقررة في كتب الفقه.

وقد شرع الإسلام أيضًا عقوبة «قذف المحصنات» قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٤-٥].

وقذفُ الرجالِ داخلٌ في حكم الآية بالمعنى، وإجماع الأمة على ذلك، فليس القذف خاصًا بالنساء فقط أو أن المراد: والذين يرمون الأنفس المحصنات أي: سواء كانت أنفس رجال أو أنفس نساء[١].

قال القرطبي: «اتفق العلماء على أنه إذا صرح بالزنى، كان قذفًا ورميًا موجبًا للحد، فإن عرض ولم يصرح، فقال مالك: هو قذف... والدليل لما قاله مالك هو أن موضوع الحد في القذف إنما هو لإزالة المعرة التي أوقعها القاذف بالمقذوف، فإذا حصلت المعرَّة بالتعريض، وجب أن يكون قذفًا كالتصريح، والمعول على الفهم.

وقد قال تعالى.. حكاية عن مريم: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[مريم:٢٨] فمدحوا أباها، ونفوا عن أمها البغاء، أي: الزنى، وعرضوا لمريم بذلك، ولذلك قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾[النساء:١٥٦]، والبهتان العظيم هو التعريض

(١) انظر: تفسير القرطبي ص٤٥٦٤.

لها؛ أي: ما كان أبوك امرأ سوءٍ، وما كانت أمك بغيًّا، أي: أنت بخلافهما، وقد أتيت بهذا الولد»[1].

فليتنبه شباب اليوم لما يدور على ألسنتهم من حديث خشية أن يقعوا في هذه الجريمة البشعة، والتي اعتبرها رسول الله ﷺ من الموبقات.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»[2].

وبهذه التشريعات تصان الأعراض، ويكون المجتمع عفيفًا حييًّا، طاهرًا نقيًّا.

٣- وصيانةً للعدل شرع الإسلام عقوبة القصاص. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:١٧٨-١٧٩]. ففي القصاص حياة عظيمة، وبقاء للأنفس فإن القاتلَ إذا عَلِمَ أنه سيُقتل ارتدع وانزجر، فأحيا نفسه من جهة، وأحيا من كان يود قتله من جهة أخرى.

---

(١) تفسير القرطبي ص٤٥٦٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوصايا - باب قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ ٤/ ١٠ رقم ٢٧٦٦.



وقرر القرآن: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة:٣٢].

بل إن الإسلام يذهب إلى أبعد من ذلك حينما يشرع العقوبة المالية على من قتل نفسًا خطأ: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ [النساء:٩٢-٩٣].

وهكذا نرى أن عقوبة القاتل أفظع عقوبة: خلود في جهنم، غضب من الله ولعنة، وعذاب عظيم.

وتأمل قول رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لَزَوالُ الدُّنْيا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»(١).

٤- وحمايةً للأمن شرع الإسلام عقوبة لقطع الطريق أو الحرابة: فقال

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه أبواب الديات - باب التغليظ في قتل مسلم ظلمًا ٣/ ٦٣٩ رقم ٢٦١٩.

تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[المائدة:٣٣-٣٤].

وقد اختلف العلماء في نوع كلمة ﴿أَوۡ﴾ في الآية السابقة: فمنهم من قال إنها للتخيير، فالحاكم عليه أن يتخير إحدى العقوبات المنصوص عليها في الآية، بصرف النظر عن الجريمة التي ارتكبها قطاع الطريق.

وأكثر العلماء يرى أن ﴿أَوۡ﴾ للتنويع، لا للتخيير، فالعقوبةُ تتنوَّعُ حسب الجريمة التي ارتكبوها:

أ. فإن قتَلُوا: قُتِلُوا جميعًا، ولو كان القاتلُ واحدًا منهم، لأنهم شركاء في الإفساد.

ب. وإن قتَلُوا وأَخَذُوا الأموالُ من الناس: قُتِلُوا وصُلِبُوا، ومن العلماء من يرى أنهم يُصلبون أولًا، وهم أحياء، ثم يطعنون حتى الموت، ومنهم من يرى أنهم يُقتلون أولًا، ثم يُصلبون ثلاثة أيام، حتى يراهم الناس، فيكون في ذلك العظة والاعتبار لكل من تسول له نفسه الإفساد في الأرض.

جـ. وإن أَخَذُوا الأموالَ فقط، ولم يَقْتُلوا: قُطِعت أيديهم اليمنى، وأرجلهم اليسرى، ويكوى العضو المقطوع حتى لا يحدث نزيف لدمه.

د. وإن أخافوا الطريق فقط، ولم يَقْتُلوا، ولم يأخذوا الأموال: نفوا إلى بلد آخر غير البلد الذي أفسدوا فيه، ومن العلماء من يرى أن المقصود من النفي في الآية السجن.

والواجبُ على المسلم شرعًا أن لا يستسلم لهؤلاء المفسدين، ولا يقف مكتوف الأيدي أمامهم، بل يُدافع عن نفسه، وعرضه، وماله، بالتهديد والكلام، فإن لم يفد، فبالضرب، فإن لم ينفع، فبالقتل، ولا قصاص على القاتل المدافع عن نفسه، ولا دية للمقتول الظالم المعتدي، وليعلم المدافع عن نفسه، وماله، وعرضه أنه إن قتل فهو شهيد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ»(١).

وعن سعيد بن زيد، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(٢).

٥- وحماية للأخلاق كلها حمى العقل بتحريم الخمر، وتشريع عقوبة لمن يعتدى عليه بشربها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه ٤/ ٣٩١ رقم ٤٧٧٢.
(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب في قتال اللصوص ٥/ ١٣٨ رقم ٤٧٧٢.



قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المائدة:٩٠-٩١].

وكلمة ﴿ٱلْخَمْرِ﴾ معناها: التغطية والستر، فهي تشمل كل ما يخمر العقل، أي: يغطيه ويستره سواء كان سائلًا، أو جامدًا، وسواء كان مما يشرب، أو مما يؤكل.

فهي تشمل الخمور المعروفة، والنبيذ، والحشيش، والأفيون، والبيرة فقد قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ»[(١)].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَهِيَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: الْعِنَبِ، وَالتَّمْرِ، وَالْحِنْطَةِ، وَالشَّعِيرِ، وَالْعَسَلِ. وَالْخَمْرُ: مَا خَامَرَ الْعَقْلَ»[(٢)].

فذكر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الأنواع الخمسة المعروفة لسامعيه ثم ذكر ضابطًا دقيقًا للخمر وهو: «الخمر ما خامر العقل».

وعقوبة جريمة شرب الخمر الجلد أربعين جلدة، وللحاكم أن يزيد إلى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر، وأن كل خمر حرام ٦/ ١٠١ رقم ٢٠٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأشربة - باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب ٧/ ١٠٦ رقم ٥٥٨٨.



ثمانين جلدة إذا رأى ذلك، حتى يرتدع الشارب، وينزجر من تراوده نفسه. فقد جلد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الوليد بن عقبة أربعين، ثم قال: «جَلَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعِينَ، وَجَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ، وَعُمَرُ ثَمَانِينَ، وَكُلٌّ سُنَّةٌ، وَهَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ»(١).

وعن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله ﷺ «إِذَا شَرِبُوا الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُمْ، ثُمَّ إِنْ شَرِبُوا فَاجْلِدُوهُمْ، ثُمَّ إِنْ شَرِبُوا فَاجْلِدُوهُمْ، ثُمَّ إِنْ شَرِبُوا فَاجْلِدُوهُمْ، ثُمَّ إِنْ شَرِبُوا فَاقْتُلُوهُمْ»(٢).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَكِرَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِنْ سَكِرَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِنْ سَكِرَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ فَاقْتُلُوهُ»(٣).

وقد كان الأمر بالقتل في المرة الرابعة في بداية تشريع العقوبة، ثم نسخ الأمر بالقتل، وبقي الجلد فقط(٤).

هذه هي العقوبات التي شرعها الإسلام لحماية الأخلاق، وقد أعطى الإسلام لولي الأمر الحق في سن بعض العقوبات الأخرى على المخالفات الأخلاقية، وهو ما يسمى في الفقه الإسلامي بالتعزير.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحدود، باب: حد الخمر ٥/ ١٢٦ رقم ١٧٠٧.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الحدود، باب إذا تتابع في شرب الخمر ٤/ ٢٨٠ رقم ٤٤٦٨.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الحدود - باب إذا تتابع في شرب الخمر ٤/ ٢٨١ رقم ٤٤٨٤.

(٤) انظر: النووي على مسلم ٥/ ٢١٨ وسنن أبي داود ٤/ ٦٢٦.

وتشـريعات الإسـلام السـالفة الـذكر لا تتنـاقض مـع الحريـة الفرديـة، ولا تتعارض مع الحرية الشخصية.

فكم ترتكب اليوم باسم الحرية من جرائم بشعة، ومن مآس يندى لها جبين الإنسانية!!

فالطعن في عقائد الإسلام وتشريعاته.. حرية فكر!

والنيل من رسوله، وتجريح علمائه.. حرية رأي!

وترويج المبادئ المنحرفة، والمذاهب الهدامة.. حرية نشر!

وإثارة الغرائز، وذبح الفضائل.. حرية عرض!

فهل الحرية هي التحرُّرُ من كل قيد، والتحلل من كل سلطان؟!

إن كلمة «الحرية» بهذا اللفظ لم تَرِد في القرآن الكريم، ولم أجدها في حديث رسول الله ﷺ[١] وإذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية، لتعطينا تحديدًا وبيانًا لمعنى هذا اللفظ، فإننا نجد «الفيروز آبادي» يقول:

«الحر بالضم: خلاف العبد، وخيار كل شيء، والفرس العتيق، ومن الطين والرمل: الطيب.. والحرية.. الفعل الحسن. والحرة بالضم: الكريمة، وضد الأمة.. ومن السحاب: كثيرة المطر.. والحرية: الأرض اللينة الرملية، ومن العرب: أشرافهم.. وتحرير الكتاب وغيره: تقويمه»[٢].

---

(١) انظر: مادة «حرر» في النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ٢٧٢-٣٦٦.

(٢) ترتيب القاموس المحيط مادة «حرر» ١/ ٥٣٠.

ويذكر صاحب «مختار الصحاح» من بين معانيها: «تحرير الولد: أن تفرده لطاعة الله وخدمة المسجد»[1].

فالحرية إذن تعني: الخير، والطيب، والحسن، والكرم، والشرف، والتقويم، وطاعة الله، وخدمة المسجد.. هكذا يجب أن تكون الحرية في هذا الإطار، فإن خرجت إلى غيره صارت تعني: الفوضى والإباحية، والهدم والأنانية.

ويجب أن نشير هنا إلى أهمية وخطورة دور وسائل الإعلام من إذاعة مسموعة ومرئية. وصحافة، وسينما، ومسرح...إلخ، فإن هذه الأجهزة يجب أن تسخر لحماية الأخلاق، ونشر الفضيلة؛ ومحاربة الرذيلة، ويجب أن تكون الرقابة عليها نابعة من كتاب ربنا، وسنة نبينا محمد ﷺ.

(١) مختار الصحاح، المادة السابقة ص١٣٠.

البَابُ الثَّانِي

في

الدروس العملية

الفَصْلُ الأَوَّلُ

درس الرحمة

درس الرحمة

الرحمة من أخلاق الإسلام، وهي تعني العطف والشفقة، والحنان والرقة، والرفق والمودة، واللين والرأفة، هي: «رقة تقتضي الإحسان للمرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رحم الله فلانًا.

وإذا وُصِفَ به الباري تعالى، فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف.

وقوله ﷺ مخبرًا عن ربه سبحانه: «لما خلق الرحم قال تعالى: أَنَا اللهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنِ اسْمِي ؛ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ» ويروي: بتته، وذلك إشارة إلى ما تقدم: وهو أن الرحمة منطوية على معنيين: الرقة والإحسان، فركب تعالى في طباع الناس الرقة، وتفرد بالإحسان»[1].

الرحمة في القرآن الكريم:

وردت مادة «الرحمة» بصورها المتعددة في القرآن الكريم «٣٢٣» مرة، من بينها «١٠٤» مرة بلفظ «رحمة» و «٨» مرات بصيغة الفعل الماضي، و «١٥» بصيغة الفعل المضارع، و «٥» مرات بصيغة الأمر، و «٥٧» مرة

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الزكاة - باب في صلة الرحم ٢/ ٦٠ رقم ١٦٩٤.



بصيغة «رحمن»، و «١١٥» مرة بصيغة «رحيم»، و «٤» مرات بصيغة التفضيل «أرحم»، و «١٢» مرة بصيغة «أرحام»، ومرة بصيغة «مرحمة»، ومرة بصيغة «رحماء»، ومرة بصيغة «رحما» بضم الراء.

وتناولت هذه المواضع الحديث عن «الرحمة» من جميع جوانبها، ومختلف صورها، فتحدثت عن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، وعن رحمة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعن الرحمة بالوالدين والأرحام، وعن الرحمة بالمؤمنين، وغير ذلك من ألوان الرحمة المتعددة.

رحمة الله تعالى:

يقول رب العزة في الحديث القدسي:

«إِنِّي وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ، أُخْلَقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي، وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِي!!»[1].

خَيْرِي إِلَى الْعِبَادِ نَازِلٌ، وَشَرُّهُمْ إِلَيَّ صَاعِدٌ أَتَحَبَّبُ إِلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ وَيَتَبَغَّضُونَ إِلَيَّ بِالْمَعَاصِي، وهم الفقراء إليَّ!!

من أقبل إليَّ منهم، تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم، ناديته من قريب!!

أَهْلُ ذِكْرِي أَهْلُ مُجَالَسَتِي، وَأَهْلُ طَاعَتِي أَهْلُ كَرَامَتِي، وَأَهْلُ شُكْرِي أَهْلُ زِيَادَتِي، وَأَهْلُ مَعْصِيَتِي لَا أُقَنِّطُهُمْ مِنْ رَحْمَتِي، إِنْ تَابُوا فَأَنَا حَبِيبُهُمْ، وَإِنْ

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ٢/ ٩٣ رقم ٩٧٤.

لَمْ يَتُوبُوا فَأَنَا طَبِيبُهُمْ، أَبْتَلِيهِمْ بِالْمَصَائِبِ، لِأُطَهِّرَهُمْ مِنَ الْمَعَايِبِ.

الحسنة بعشرة أمثالها أو أزيد.

والسيئة بواحدة أو أعفو، فإن استغفروني، غفرتُها لهم.

رحمتي سبقت غضبي.

وحلمي سبق مؤاخذتي.

وعفوي سبق عقوبتي.

وأنا أرحم بعبادي من الوالدة بولدها»[١].

أرأيت هذا الجمال الأخّاذ، وهذه الروعة الرائعة؟! إنها نماذج من رحمة ربنا جل في علاه. فمن أسمائه الحسنى: الرحمن الرحيم، وأيضًا من أسمائه الحسنى التي لها اتصال بالرحمة: الغفار، واللطيف، والودود، والولي، والبر، والتواب، والعفو، والرؤوف، والنافع، والهادي، والغفور، والشكور.

«وإن وصف الله بالرحمن الرحيم، وبأنه أرحم الراحمين، وبأنه رحيم ودود، لينقض باطل المستشرقين أصحاب الهوى، في زعمهم أن الدين الإسلامي دين لا رقة فيه، وهل هناك أرق من وصف الله تعالى بالرحمن الرحيم، ووصفه بأنه أرحم الراحمين؟

(١) الاتحافات السنية ص١٧.

وإن الرقة كلها لتتمثل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠][1].

ومن الآيات القرآنية التي تتحدث عن رحمته تعالى:

- ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

- ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

- ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨].

- ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

- ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

- ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

- ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

- ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

- ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

(١) الإسلام والإيمان للدكتور: عبد الحليم محمود ص٨٧.



واقترن الاسمان الكريمان ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في ست آيات من القرآن الكريم: [الفاتحة:١، ٣]، [البقرة:١٦٣]، [النمل:٣٠]، [فصلت:٢]، [الحشر:٢٢].

واقترن الاسمان الكريمان {الرءوف الرحيم} في ثماني آيات: [البقرة:١٤٣]، [التوبة:١١٧، ١٢٨]، [النحل:٧، ٤٧]، [الحج:٦٥]، [النور:٢٠]، [الحديد:٩]، [الحشر:١٠].

ووصف بأنه ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ في تسع آيات: [البقرة:٣٧، ٥٤، ١٢٨، ١٦٠]، [النساء:١٦، ٦٤]، [التوبة:١٠٤، ١١٨]، [الحجرات:١٢].

وورد أنه ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ في ١٣ موضعًا من القرآن الكريم: [الشعراء:٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١، ٢١٧]، [الروم:٥]، [السجدة:٦]، [يس:٥]، [الدخان:٤٢].

وجاء وصفه بـ ﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ في ٧٢ موضعًا من الكتاب الكريم: [البقرة:١٧٣، ١٨٢، ١٩٢، ١٩٩، ٢١٨، ٢٢٦]، [آل عمران:٣١، ٨٩، ١٢٩]، [النساء:٢٣، ٢٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠٦، ١١٠، ١٢٩، ١٥٢]، [المائدة: ٣، ٣٤، ٣٩، ٧٤، ٩٨]، [الأنعام:٥٤، ١٤٥، ١٦٥]، [الأعراف:١٥٣، ١٦٧]، [الأنفال:٦٩، ٧٠]، [التوبة:٥، ٢٧، ٩١، ٩٩، ١٠٢]، [يونس: ١٠٧]، [هود:٤١]، [يوسف:٥٣، ٩٨]، [إبراهيم:٣٦]، [الحجر:٤٩]، [النحل:١٨، ١١٠، ١١٥، ١١٩]، [النور:٥، ٢٢، ٣٣، ٦٢]، [الفرقان:٦، ٧٠]، [النمل:١١]، [القصص:١٦]، [الأحزاب:٥، ٢٤، ٥٠، ٥٩، ٧٣]،

[سبأ:٢]، [الزمر:٥٣]، [فصلت:٣٢]، [الشورى:٥]، [الأحقاف:٨]، [الفتح:١٤]، [الحجرات:٥، ١٤]، [الحديد:٣٨]، [المجادلة:١٢]، [الممتحنة:٧، ١٢]، [التغابن:١٤]، [التحريم:١]، [المزمل:٢٠].

ووصف الله نفسه بأنه ﴿رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ في آية واحدة: [هود:٩٠].

وبأنه ﴿ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ أيضًا في آية واحدة: [الطور:٢٨].

ونتابع حديث القرآن عن رحمة الله تعالى، لنقف مع بعض ما يعرضه من: «آثار رحمة الله» جل في علاه، ونتأمل الآيات الآتية:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف:٥٧].

- ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [الإسراء:٦٦].

- ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص:٧٣].

- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١].

- ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم:٥٠].

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾

[الشورى:٢٨].

- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾

[الملك:٣].

- ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾

[الملك:١٩].

أما عن الطريق الموصل إلى رحمة الله، فترسمه الآيات التالية:

- ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾

[الأنعام:١٥٥].

- ﴿وَرَحۡمَتِى وَسِعَتۡ كُلَّ شَىۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

- ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾

[الأعراف:٢٠٤].

- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾

[النور:٥٦].

- ﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[النمل:٤٦].

- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِى رَحۡمَتِهِۦ﴾

[الجاثية:٣٠].

ونتنقل إلى السنة المطهرة، لنتأمل بعض ما قاله الرحمة المهداة عن رحمة الله تعالى:

١ - عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(١).

٢ - عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(٢).

٣ - وعنه عن النبي ﷺ قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»(٣).

٤ - وعنه أن النبي ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، هُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ٨/ ٩٩ رقم ٢٧٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ ﴾ ٩/ ١٤٣ رقم ٧٤٩٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض ٧/ ١١٤ رقم ٥٦٤١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ ٩/ ١٢٠ رقم ٧٤٠٤.

٥- وعنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»(١).

٦- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعَذَابِ، لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»(٢).

٧- وعن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢١٦١ رقم ١٠٦١٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف - ٨/ ٩٩رقم ٦٤٦٩.

فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ.

وفي رواية زيادة: «فَأَوْحَى اللهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَإِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي»(١).

٨- وعن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال سمعته يقول: «يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ»(٢).

٩- وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «لَقَدْ دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ، مَا عَمِلَ خَيْرًا قَطُّ، قَالَ لِأَهْلِهِ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُوا نِصْفِي فِي الْبَحْرِ، وَنِصْفِي فِي الْبَرِّ. فَأَمَرَ اللهُ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ فَجَمَعَاهُ، ثُمَّ قَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، قَالَ: فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ»(٣).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب التوبة، باب قبول توبة التائب وإن كثر قتله ٨/ ١٠٣ رقم ٢٧٦٦ وقوله: «فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي» أي: الأرض التي خرج منها.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب التوبة - باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ٨/ ١٠٥ رقم ٢٧٦٨ وكنفه أي: ستره وعفوه.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٢٣٠٥ رقم ١١٢٦٥.

رحمة النبي صلوات الله وسلامه عليه:

قال تعالى عن رحمة حبيبه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

- ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

- ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[التوبة:٦١].

- ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨].

- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧].

وفيما يلي نعرض نماذج من السنة المطهرة ترينا جوانب من رحمته ﷺ.

١. روى أبو داود: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ جَالِسًا يَوْمًا، فَأَقْبَلَ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَوَضَعَ لَهُ بَعْضَ ثَوْبِهِ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ فَوَضَعَ لَهَا شِقَّ ثَوْبِهِ مِنْ جَانِبِهِ الْآخَرِ، فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَخُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَقَامَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ»(١).

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب - أبواب النوم - باب في بر الوالدين ٤/ ٥٠١رقم ٥١٤٥ وأبو النبي من الرضاعة الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي وأمه حليمة السعدية، وأخوه عبد الله بن الحارث.

٢. وقد كان يُحِبُّ حاضنته أم أيمن «بركة الحبشية» ويحنو عليها، وقد كانت ملكًا له، فأعتقها، وزوجها، فولدت أيمن، وكان يقول له ﷺ: «أُمُّ أَيْمَنَ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي»[(١)]. «هَذِهِ بَقِيَّةُ أَهْلِ بَيْتِي»[(٢)] ولما مات زوجها قال لأصحابه: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَتَزَوَّجْ أُمَّ أَيْمَنَ»[(٣)] فسارع الصحابي الجليل زيد بن حارثة، فتزوجها، فأنجبت له القائد الإسلامي: أسامة بن زيد.

٣- وكانت رحمته بالمسلمين عظيمة: عن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: «لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ، أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ»[(٤)].

٤- وعن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى رجل النبي ﷺ، فقال: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ»[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/ ١٧٩٤ من حديث سليمان بن أبي شيخ مرسلًا.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ٢٢٣.

(٣) أخرجه ابن سعد في طبقاته عن سفيان بن عقبة مرسلًا – ٨/ ٢٢٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان – باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي ١/ ١٤٣ رقم ٧٠٧ من حديث أبي قتادة

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان – باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع والسجود ١/ ١٤٢ رقم ٧٠٢ من حديث أبي مسعود البدري.

٥- وعن جابر بن عبد الله أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلَاةَ، فَقَرَأَ بِهِمُ الْبَقَرَةَ، قَالَ: فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّى صَلَاةً خَفِيفَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا، فَقَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا الْبَارِحَةَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ فَتَجَوَّزْتُ، فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ ثَلَاثًا اقْرَأْ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَنَحْوَهَا»[1].

٦- وكانت رحمته تدفعه لأن ينهى المسلمين عن التشدُّدِ في الدين: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَبْلُ؟». قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»[2].

٧- وعن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: احتجر رسول الله ﷺ حجيرة مخصفة - أو حصيرًا - فخرج رسول الله ﷺ يصلي إليها، فتتبع إليه رجال، وجاءوا يصلون بصلاته، ثم جاءوا ليلة فحضروا، وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم، فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم، وحصبوا الباب، فخرج إليهم مغضبًا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «مَا زَالَ بِكُمْ صَنِيعُكُمْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُكْتَبُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب - باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولًا أو جاهلًا ٨/ ٢٦ رقم ٦١٠٦ من حديث جابر بن عبد الله.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه أبواب التهجد - باب ما يكره من التشديد في العبادة ٢/ ٥٣ رقم ١١٥٠ من حديث أنس بن مالك.

عَلَيْكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ خَيْرَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ»(١).

٨- وعن جابر بن عبد الله قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَرَأَى رَجُلًا قَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَقَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَهُ قَالُوا: رَجُلٌ صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ»(٢).

٩- وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ فَقَالَ: مَا بَالُ هَذَا؟ قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ قَالَ: إِنَّ اللهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ. وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ»(٣).

١٠- وعنه أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب - باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله ٨/ ٢٨رقم ٦١١٣، من حديث زيد بن ثابت. وحجيرة مخصفة أي: حجرة صغيرة من خوص النخل، وحصبوا الباب أي: دقوه بالحصباء أي: الحصى الصغير. سيكتب عليكم أي: قيام الليل.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصيام - باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية ٣/ ١٤٢رقم ١١١٥ من حديث جابر بن عبد الله.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النذر، باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة ٥/ ٧٩ رقم ١٦٤٢ ومعنى «يهادي بين ابنيه» أي: يمشي بينهما متوكئًا عليهما لضعفه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ٤/ ١٢٩ رقم ١٤٠١.

١١- ودفعته رحمته لأن يضع هذه القاعدة الشرعية العظيمة: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»[١].

١٢- وتدفعه رحمته مرة أخرى، ليصلي على كبير المنافقين!! عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، تُصَلِّي عَلَيْهِ، وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ فَقَالَ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾[التوبة: ٨٠] وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ، قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[التوبة: ٨٤][٢].

١٣- ولا يخطر ببال أحد من البشر أن تمتد رحمةُ إنسانٍ لتشمل أعداءه!! ولكن ذلك قد كان للمصطفى ﷺ! فعندما أسلم «ثمامة بن أثال» سيد أهل اليمامة قال للرسول: «وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَض إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَض

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل - باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ٧/ ٩١ رقم ١٣٣٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن - سورة براءة - باب قوله: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ٦/ ٦٧ رقم ٤٦٧٠.

إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي، وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا وَاللهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ»[1].

وكانت قريش تعتمد على قمح اليمامة، فلما عاد إلى اليمامة، نفذ ما أقسم عليه، فمنع إرسال القمح إلى قريش حتى يتبعوا محمدًا عن آخرهم كما صرح لهم بذلك.

«فَلَمَّا أَضَرَّ بِهِمْ كَتَبُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّ عَهْدَنَا بِكَ وَأَنْتَ تَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَتَحُضُّ عَلَيْهَا، وَإِنَّ ثُمَامَةَ قَدْ قَطَعَ عَنَّا مِيرَتَنَا وَأَضَرَّ بِنَا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْهِ أَنْ يُخَلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مِيرَتِنَا فَافْعَلْ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَنْ خَلِّ بَيْنَ قَوْمِي وَبَيْنَ مِيرَتِهِمْ»[2]!!

«يا للخلق العظيم الذي يجب أن يقتدى به البشر!

أهذا حلم على حماقة قريش؟

أهذا عفو القادر على الانتقام؟

أهذا صبر على أذى الأعداء؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ١٦٩/٥ رقم ٤٣٧٢.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/ ٢١٥.

أهذه رحمة بالمشركين الذين آذوا النبي ﷺ ومن معه، وأخرجوهم من وطنهم مكة؟

إن عمل النبي هنا يجمع هذه الفضائل كلها، فهو لم يأمر ثمامة بأن يمنع القمح عن مشركي مكة. لكن إسلام ثمامة هو الذي دفعه إلى أن يعاقب قريشًا بما يستطيع أن يعاقبها به، جزاء لها على بغيها ومحاربتها للمسلمين، وتحرشها الدائم بهم.

وقد كان من حق ثمامة أن يفعل ذلك، لأن قريشًا مع المسلمين في حرب متصلة، ولأن قريشًا استباحت لنفسها من قبل أن تقاطع المسلمين، وأن تحصرهم في شعب بني هاشم في مكة، وأن تتعاهد على تجويعهم ومقاطعتهم وهي ما تزال جادة في إنزال الأضرار بهم ما وجدت للإضرار سبيلًا.

لكن رحمة النبي ﷺ كانت أعلى من الخصومة، وأرفع من العداوة، وأعظم من مقابلة التجويع بمثله، فإنه لم يكد يقرأ كتاب قريش حتى أرسل إلى ثمامة أن يخلي بينها وبين حنطة اليمامة، وهو يعلم أن تجويع قريش يضعفها أشد الضعف، ويقيه شرورها، ولعله أن يعجل بسعيها إلى اعتناق الإسلام.

فهل لبعض الدول المعاصرة التي تدعي العلم والتقدم والحضارة آذان تسمع؟

هل لها عقول تعي؟



هل لها بقايا من الضمائر تتقبل التربية والعلاج؟

أما آن لها أن تعلم أنَّ عِلمَها زائفٌ، وأن تقدُّمَها تأخُّرٌ، وأن حضارتها همجية.

إنها تتخذ القمح والمال والدواء والسلاح وغيرها حبائل لاقتناص المحتاجين، وأغلالًا في رقاب الطالبين، ووسائل لإغراء المتطلعين، ثم تقترف أحط أنواع الخسة، فتضاعف الجريمة، إذ تحتجز قمحها وغيره لا عن خصومها فحسب، بل على الذين يتأبون على الخضوع الذليل، والتبعية المهينة»[1].

هذه لقطات من خلق الرحمة لدى الرحمة المهداة صلوات ربي وسلامه عليه.

المسلمون وخلق الرحمة:

وصف الله رسوله والذين معه بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

ووصف المؤمنين الصادقين بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي

(١) انظر: من أخلاق النبي للدكتور أحمد الحوفي ص١٨٨.



تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»[2].

فالرحمة من أخلاق المسلمين، الرحمة بمعناها العام الشامل الذي سبق الإشارة إليه[3].

وسنتحدث هنا عن الفقرات الآتية:

- الرحمة بذوي الأرحام.

- الرحمة بالأطفال.

- الرحمة بالحيوان.

أولًا - الرحمة بذوي الأرحام:

يُطلق الرحم على الأقارب، وهم مَنْ بينه وبين الآخر نسبٌ: سواء كان يَرِثُه أم لا، وسواء كان ذا محرم أم لا، فيدخل فيهم أولاد الأعمام وأولاد الأخوال.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٨/ ٢٠ رقم ٢٥٨٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان - باب فضل التهجير إلى الظهر ١/ ١٣٢ رقم ٦٥٢.

(٣) انظر ص٦٨ من هذا الكتاب.

وقد حث القرآن الكريم على صلة الرحم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

وقال سبحانه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الأنفال:٧٥].

وقال عزوجلّ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الأحزاب:٦].

وحض الرسول ﷺ على صلة الرحم:

أ- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾[محمد:٢٢][١]».

ب- وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[٢].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله ٨/٥ رقم ٥٩٨٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب - باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ٨/ ٣٢رقم ٦١٣٨.

جـ- وعن سلمان بن عامر الضبي قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى الْقَرِيبِ صَدَقَتَانِ، صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ»[1].

د- وعن عامر بن سعد بن مالك عن أبيه قال: عَادَنِي النَّبِيُّ ﷺ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ مَرَضٍ أَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: فَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟ قَالَ: «الثُّلُثُ يَا سَعْدُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ وَلَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا آجَرَكَ اللهُ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»[2].

هـ- وعن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ، الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ»[3].

و- وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»[4].

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه كتاب الصوم - جماع أبواب وقت الإفطار وما يستحب أن يفطر عليه - باب الدليل على أن الأمر بالفطر على التمر إذا كان موجودا ٣/ ٤٨١ رقم ٢٠٦٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار - باب قول النبي ﷺ اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ومرثيته لمن مات بمكة ٥/ ٦٨ رقم ٣٩٣٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٠/ ٥٥٩٨ رقم ٢٤٠١٣، والكاشح الذي يضمر العداوة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ ٦/٨ رقم ٥٩٩١.

ز- وعن أبي هريرة أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»(١).

ح- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(٢).

ط- وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «صِلَةُ الْقَرَابَةِ مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ»(٣).

ي- وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ أَعْجَلَ الْخَيْرِ ثَوَابًا صِلَةُ الرَّحِمِ، وَإِنَّ أَعْجَلَ الشَّرِّ عُقُوبَةً الْبَغْيُ، وَالْيَمِينُ الصَّبْرُ الْفَاجِرَةُ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلَاقِعَ»(٤).

ك- وقال ﷺ: «إِنَّ الْبِرَّ وَالصِّلَةَ لَيُطِيلَانِ الْأَعْمَارَ وَيُعَمِّرَانِ الدِّيَارَ وَيُثْرِيَانِ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب - باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ٨/ ٨ رقم ٢٥٥٨ ومعنى يجهلون عليه: يسيئون إليه بسوء القول، ومعنى «تسفهم المل»: تطعمهم الرماد الحار. أي: سيلحقهم ألم مثل ألم الذي يأكل الرماد الحار، و «ظهير»: أي: معين من الله يدفع أذاهم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع - باب من أحب البسط في الرزق ٣/ ٥٦ رقم ٢٠٦٧.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٨/ ١٤ رقم ٧٨١٦ من حديث عمرو بن سهل.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٣٥ رقم ١٩٩٣١، من حديث مكحول مرسلا. والبلاقع جمع بلقع وبلقعة: الأرض القفر، فالحالف يفتقر، وتزول نعم الله عنه.

الأَمْوَالَ وَلَوْ كَانَ الْقَوْمُ فُجَّارًا، إِنَّ الْبِرَّ وَالصِّلَةَ لَيُخَفِّفَانِ سُوءَ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(١)].

ل- وعن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُوَسَّعَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[(٢)].

م- وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ الْبِرَّ وَالصِّلَةَ لَيُخَفِّفَانِ سُوءَ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ تَلا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[الرعد:٢١]»[(٣)].

ن- وعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: «مَا لَهُ مَا لَهُ». وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَبٌ مَا لَهُ، تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ»[(٤)].

هذه بعض توجيهات الإسلام في الحث على صلة الرحم عمومًا، وهناك توجيهات تخص بعض الأرحام بالذات، وفي مقدمة هؤلاء جميعًا الوالدان، وهاك توجيهات الإسلام بهذا الصدد:

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١/ ٤٠٣ من حديث عبد الله بن عباس.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٣١٥ رقم ١٢٢٩.
(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١/ ٤٠٣ من حديث عبد الله بن عباس.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة - باب وجوب الزكاة ٢/ ١٠٤ رقم ١٣٩٦.

الرحمة بالأبوين:

ونبدأ بحديث القرآن الكريم عن الوالدين:

قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء:٣٦].

وقال عزّوجلّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

وقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

[العنكبوت:٨].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[لقمان:١٤-١٥].

وقال عزّوجلّ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ

أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾[الأحقاف:١٥-١٨].

وأما حديث السنة عن بر الوالدين فإليك نماذج:

١- أحاديث خاصة ببر الأم:

أ. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»[(١)].

ب. وعن معاوية بن جاهمة أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ. فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَالْزَمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا»[(٢)].

ج. عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَشْتَهِي الْجِهَادَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة ٢/٨ رقم ٥٩٧١.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الصغرى كتاب الجهاد - باب الرخصة في التخلف لمن له والدة ٦١٢/١ رقم ٣١٠٦.

وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: هَلْ بَقِيَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: أُمِّي، قَالَ: فَأَبْلِ اللهَ فِي بِرِّهَا، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، فَأَنْتَ حَاجٌّ وَمُعْتَمِرٌ وَمُجَاهِدٌ»(١).

د. عن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي، قَالَ: نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ(٢).

هـ. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا تَكَلَّمَ مَوْلُودٌ مِنَ النَّاسِ فِي مَهْدٍ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ»، قِيلَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَمَا صَاحِبُ جُرَيْجٍ؟ قَالَ: «فَإِنَّ جُرَيْجًا كَانَ رَجُلًا رَاهِبًا فِي صَوْمَعَةٍ لَهُ، وَكَانَ رَاعِيَ بَقَرٍ يَأْوِي إِلَى أَسْفَلِ صَوْمَعَتِهِ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ تَخْتَلِفُ إِلَى الرَّاعِي، فَأَتَتْ أُمُّهُ يَوْمًا فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ وَهُوَ يُصَلِّي: أُمِّي وَصَلَاتِي؟ فَرَأَى أَنْ يُؤْثِرَ صَلَاتَهُ، ثُمَّ صَرَخَتْ بِهِ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: أُمِّي وَصَلَاتِي؟ فَرَأَى أَنْ يُؤْثِرَ صَلَاتَهُ، ثُمَّ صَرَخَتْ بِهِ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: أُمِّي وَصَلَاتِي؟ فَرَأَى أَنْ يُؤْثِرَ صَلَاتَهُ، فَلَمَّا لَمْ يُجِبْهَا قَالَتْ: لَا أَمَاتَكَ اللهُ يَا جُرَيْجُ حَتَّى تَنْظُرَ فِي وَجْهِ الْمُومِسَاتِ، ثُمَّ انْصَرَفَتْ. فَأُتِيَ الْمَلِكُ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ وَلَدَتْ، فَقَالَ: مِمَّنْ؟ قَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَصَاحِبُ الصَّوْمَعَةِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: اهْدِمُوا صَوْمَعَتَهُ، وَأْتُونِي بِهِ، فَضَرَبُوا صَوْمَعَتَهُ بِالْفُئُوسِ حَتَّى وَقَعَتْ. فَجَعَلُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلٍ، ثُمَّ انْطُلِقَ بِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلَى

---

(١) أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٥/ ٢٢٥ رقم ١٨٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين ١٦٤/٣ رقم ٢٦٢٠ ومعنى «راغبة» أي: ترغب بر ابنتها لها، وتخشى رد ابنتها لها لشركها بالله.

الْمُومِسَاتِ، فَرَآهُنَّ فتبسَّمَ، وَهُنَّ يَنْظُرْنَ إِلَيْهِ فِي النَّاسِ، فَقَالَ الْمَلِكُ: مَا تَزْعُمُ هَذِهِ؟ قَالَ: مَا تَزْعُمُ؟ قَالَ: تَزْعُمُ أَنَّ وَلَدَهَا مِنْكَ، قَالَ: أَنْتِ تَزْعُمِينَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: أَيْنَ هَذَا الصَّغِيرُ؟ قَالُوا: هَذا هُوَ فِي حِجْرِهَا، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: رَاعِي الْبَقَرِ. قَالَ الْمَلِكُ: أَنَجْعَلُ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: مِنْ فِضَّةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَا نَجْعَلُهَا؟ قَالَ: رُدُّوهَا كَمَا كَانَتْ، قَالَ: فَمَا الَّذِي تَبَسَّمْتَ؟ قَالَ: أَمْرًا عَرَفْتُهُ، أَدْرَكَتْنِي دَعْوَةُ أُمِّي، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ»[1].

٢- أحاديث خاصة ببر الأب:

أ. عن ابن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»[2].

ب. وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ بَابِ الْجَنَّةِ»[3].

ج. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ، أتاه رجل، فقال: يا رسول الله إن لي مالًا ووالدًا، وإن والدي يجتاح مالي. فقال:

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد-باب دعوة الوالدين- ١/ ٢٦ وقريب منه في مسلم في كتاب البر والصلة، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها ٤/ ١٩٧٦.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب البر والصلة - رضى الرب في رضى الوالد وسخط الرب في سخط الوالد ٤/ ١٥١ رقم ٧٣٤٢، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٩/ ٥٠٨٣ رقم ٢٢١٣١.

«أَنْـتَ وَمَالُـكَ لِوَالِـدِكَ، إِنَّ أَوْلَادَكُـمْ مِـنْ أَطْيَـبِ كَسْبِكُمْ، فَكُلُـوا مِـنْ كَسْـبِ أَوْلَادِكُمْ»(١).

د. وعن أبي هريرة، ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ، فَيُعْتِقَهُ»(٢).

هـ. وعن عبد الله بن عمر أن رجلًا من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلَّم عليه عبد الله، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقال ابن دينار فقلت له: أصلحك الله! إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير. فقال عبد الله: إن أبا هذا كان ودًّا لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ»(٣).

و. وعن أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَأَتَانِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، فَقَالَ: أَتَدْرِي لِمَ أَتَيْتُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ، فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ» وَإِنَّهُ كَانَ بَيْنَ أَبِي عُمَرَ وَبَيْنَ أَبِيكَ إِخَاءٌ وَوُدٌّ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَصِلَ ذَاكَ(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الإجارة - باب الرجل يأكل من مال ولده ٣/ ٣١٢ رقم ٣٥٣٠، «يجتاح مالي» أي: يأخذه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه العتق، باب فضل عتق الوالد ٤/ ٢١٨ رقم ١٥١٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب - باب صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما ٨/ ٦ رقم ٢٥٥٢.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان - باب حق الوالدين - ذكر البيان بأن بر المرء بإخوان أبيه وصلته إياهم بعد موته من وصله رحمه في قبره ٢/ ١٧٥ رقم ٤٣٢.

ز. وروى البخاري أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَبْصَرَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: مَا هَذَا مِنْكَ؟ فَقَالَ: أَبِي، فَقَالَ: لَا تُسَمِّهِ بِاسْمِهِ، وَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ[(١)].

٣- أحاديث خاصة ببر الوالدين معًا:

١ - عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[(٢)].

٢. عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «بِرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ، وَعِفُّوا تَعِفُّ نِسَاؤُكُمْ»[(٣)].

٣. وعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ قَالَ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ بَلْ كِلَاهُمَا. قَالَ: فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»[(٤)].

٤. وفي رواية له قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُبَايِعُهُ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَتَرَكَ أَبَوَيْهِ يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١/ ٣٠ رقم ٤٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب وسمى ﷺ الصلاة عملًا ٩/ ١٥٦ رقم ٧٥٣٤.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١/ ٢٩٩ رقم ١٠٠٢.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب - باب بر الوالدين وأنهما أحق به ٨/ ٣ رقم ٢٥٤٩.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٣/ ٥٧٧ رقم ١٤٤٨٥.



٥. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ، أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الْجَبَلِ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلهِ صَالِحَةً فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي، وَإِنَّهُ نَاءَ بِيَ الشَّجَرُ، فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللهُ لَهُمْ فُرْجَةً حَتَّى يَرَوْنَ مِنْهَا السَّمَاءَ، وَقَالَ الثَّانِي: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ، حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَلَقِيتُهَا بِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ، اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ، فَقُمْتُ عَنْهَا اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا، فَفَرَجَ لَهُمْ فُرْجَةً، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَقَّهُ، فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَظْلِمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَهْزَأْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَهْزَأُ بِكَ، فَخُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ

وَرَاعِيَهَا، فَأَخَذَهُ فَانْطَلَقَ بِهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللهُ عَنْهُمْ»[1].

٦. عن أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: نَعَمِ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا»[2].

الرحمة ببقية الأرحام:

رأينا فيما سبق مدى اهتمام الإسلام ببر الوالدين، وكيف تعددت التوجيهات القرآنية والنبوية في هذا الصدد، وفيما يلي نعرض نماذج من إرشادات الإسلام للعناية البالغة ببعض الأرحام في مرتبة تلي الوالدين، كالبنين والبنات، والإخوة والأخوات، والخالات.

١- فمن الأحاديث التي تحث على الرحمة بالبنين والبنات:

أ- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ فَأَدَّبَهُنَّ وَرَحِمَهُنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب - باب إجابة دعاء من بر والديه ٨/ ٣ رقم ١٩٧٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب - أبواب النوم - باب في بر الوالدين ٤/ ٥٠٠ رقم ٥١٤٢.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٥١٥ رقم ١٢١٠٥.



ب- وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، وَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ»(١).

جـ- عن جابر بن عبد الله قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، يُؤْوِيهِنَّ، وَيَكْفِيهِنَّ، وَيَرْحَمُهُنَّ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ أَلْبَتَّةَ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ الْقَوْمِ: وَثِنْتَيْنِ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَثِنْتَيْنِ»(٢).

د- عن ابْنَ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُدْرِكُهُ ابْنَتَانِ، فَيُحْسِنُ صُحْبَتَهُمَا، إِلَّا أَدْخَلَتَاهُ الْجَنَّةَ»(٣).

هـ- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ(٤).

و- عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهِنَّ، وَضَرَّائِهِنَّ، وَسَرَّائِهِنَّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَوِ اثْنَتَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَوِ ثِنْتَانِ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَوْ وَاحِدَةٌ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَوْ وَاحِدَةٌ»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١/ ٤١ رقم ٧٦، وقوله: «من جدته» أي: من غناه.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بَابُ مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ أَوْ وَاحِدَةً ١/ ٤١ رقم ٧٨.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بَابُ مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ أَوْ وَاحِدَةً ١/ ٤١ رقم ٧٧.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات ٨/ ٣٨ رقم ٢٦٣١.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٧٧٠ رقم ٨٥٤١، واللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

ز- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ وُلِدَتْ لَهُ ابْنَةٌ فَلَمْ يَئِدْهَا، وَلَمْ يُهِنْهَا، وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا - يَعْنِي: الذَّكَرَ - أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الْجَنَّةَ»(١).

ح- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَوَعَظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، تَصَدَّقُوا. فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ. فَقُلْنَ: وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ. ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ، جَاءَتْ زَيْنَبُ، امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ، تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ زَيْنَبُ، فَقَالَ: أَيُّ الزَّيَانِبِ. فَقِيلَ: امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: نَعَمِ، ائْذَنُوا لَهَا. فَأُذِنَ لَهَا، قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّكَ أَمَرْتَ الْيَوْمَ بِالصَّدَقَةِ، وَكَانَ عِنْدِي حُلِيٌّ لِي، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ، فَزَعَمَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ وَوَلَدَهُ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صَدَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ، زَوْجُكِ وَوَلَدُكِ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتِ بِهِ عَلَيْهِمْ»(٢).

٢- ومن الأحاديث التي تحث على الرحمة بالإخوة والأخوات:

أ- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: هَلَكَ أَبِي وَتَرَكَ سَبْعَ بَنَاتٍ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً ثَيِّبًا، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ؟ فَقُلْتُ نَعَمْ، فَقَالَ: بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟ قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٩٣ رقم ١٩٨٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب ٢/ ١٢٠ رقم ١٤٦٢.



وَتُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ عَبْدَ اللهِ هَلَكَ وَتَرَكَ بَنَاتٍ، وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ وَتُصْلِحُهُنَّ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ أَوْ خَيْرًا»[1].

ب- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَكُونُ لِأَحَدِكُمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[2].

ج- وعنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ لِأَحَدٍ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، أَوِ ابْنَتَانِ، أَوْ أُخْتَانِ، فَيَتَّقِي اللهَ فِيهِنَّ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[3].

د- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ اتَّقَى اللهَ [عَزَّ وَجَلَّ]، وَأَقَامَ عَلَيْهِنَّ كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ الْأَرْبَعِ»[4].

هـ- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أُخْتَانِ، فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُمَا مَا صَحِبَتَاهُ - دَخَلَ بِهِمَا الْجَنَّةَ»[5].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النفقات، باب عون المرأة زوجها في ولده ٧/ ٦٦ رقم ٥٣٦٧.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات ٣/ ٤٧٤ رقم ١٩١٢.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٣٨٣ رقم ١١٥٦٠.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٦٦١ رقم ١٢٧٨٨.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٥٢٢ رقم ٢١٣٥.

و- عن كليب بن منفعة عن جده، أنه أتى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، وَمَوْلَاكَ الَّذِي يَلِي ذَاكَ، حَقٌّ وَاجِبٌ، وَرَحِمٌ مَوْصُولَةٌ»(١).

٣- ومن الأحاديث التي تحث على الرحمة بالخالة:

أ. ما رواه البخاري عن البراء بن عازب في حديث طويل جاء فيه قول الرسول ﷺ: «الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ»(٢).

ب. وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا، فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَبِرَّهَا»(٣).

قواعد أخلاقية:

وبعد هذا العرض لبعض ما جاء في صلة الأرحام يمكننا أن نصل إلى القواعد الأخلاقية الآتية:

- مَنْ وصلَ الرَّحمِ وصلَهُ الله.

- صلةُ الرحمِ دليلُ الإيمانِ.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بَابُ وُجُوبِ صِلَةِ الرَّحِمِ ١/ ٣١ رقم ٤٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلح - باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان وفلان بن فلان ٣/ ١٨٤ رقم ٢٦٩٩.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في بر الخالة ٣/ ٤٦٨ حديث رقم ١٩٠٤.

- الصدقَة على الرحمِ صدقةٌ وصِلَةٌ.

- صلةُ الرحمِ تزيدُ الرزقَ، وتُكثر المال.

- صلة الرحم تُبارك في العمر، وتُنسِئ في الأجل.

- صلة الرحم تُؤدِّي إلى محبة في الأهل، وعمران في الديار.

- صلة الرحم تُفرِّج الكروب. وتزيل المِحَن.

- أعجل الخير ثوابًا صلة الرحم.

- صلة الرحم تدفع ميتة السوء.

- صلة الرحم تُخفِّف الحساب يوم القيامة.

- صلة الرحم تدخل الجنة.

- الأُمُّ أحقُّ الناسِ بحسن الصحبة.

- لا جهادَ ولا هجرَة إلا بإذن الوالدين.

- بِرُّ الأمِ يعدل ثوابه الحج، والعمرة، والجهاد.

- الشرك لا يمنع من صلة الرحم.

- بِرُّ الوالدين مُقدَّمٌ على التطوع بالعبادة.

- للوالد أخذ ما يحتاجه من مال ولده، ولو لم يأذن له.

- على المسلم أن يبر والديه حتى بعد موتهما.

- مَن بَرَّ والديه بره أبناؤه.

- مَنْ رَحِمَ بناته وأخواته رافق النبي في الجنة.

- الخالة بمنزلة الأم، وصلتها تكفر الذنوب العظيمة.

قطع الرحم:

وإذا كان الإسلام قد حث على صلة الرحم، ورتب عليها هذه النتائج العظيمة على هذا النحو الذي ذكرناه، والذي لا يوجد مثله، ولا قريب منه في أي مذهب من المذاهب الفكرية الأخلاقية قديمها، ووسيطها، وحديثها، بل وأوجب النفقة على الأرحام عكس ما نراه في الدول التي تدعي الحضارة والعصرية، فإن الإسلام من جانب آخر قد حذر أشد التحذير، ونفر غاية التنفير من قطع الرحم، وهاك نماذج مما قاله نبي الرحمة صلوات ربي وسلامه عليه.

أ- عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»[1].

ب- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاستقراض، باب ما ينهى عن إضاعة المال ٣-١٢ رقم ٢٤٠٨ «ومنع وهات» أي: منع ما أمر الله بإعطائه، وطلب ما لا يستحق أخذه.

وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ: لَا يَسْكُتُ»(١).

ج- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ»(٢).

د- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ. قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»(٣).

هـ- وعنه يقول: قال النبي ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدَيْنِ عَلَى وَلَدِهِمَا»(٤).

و- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر ٨-٤ رقم ٥٩٧٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه ٨-٣ رقم ٥٩٧٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب - باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة ٨-٥ رقم ٢٥٥١ «رغم أنفه» أي: ألصق الله أنفه بالرغام وهو التراب، وفاته دخول الجنة.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب دعوة الوالدين ١/ ١٩.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ١٣٦٦\٣ رقم ٦٦٠٦.



ز- عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَلا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ»(١).

ح - عن أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللهُ مَا شَاءَ مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ»(٢).

وفي رواية له: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةُ مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ، مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»(٣).

ط- وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَاهُ آتٍ فَقَالَ: شَابٌّ يَجُودُ بِنَفْسِهِ. قِيلَ لَهُ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: «كَانَ يُصَلِّي؟». فَقَالَ: نَعَمْ: فَنَهَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَهَضْنَا مَعَهُ فَدَخَلَ عَلَى الشَّابِّ فَقَالَ لَهُ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». فَقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «لِمَ؟». قَالَ: كَانَ يَعُقُّ وَالِدَيْهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَحَيَّةٌ وَالِدَتُهُ؟». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «ادْعُوهَا». فَدَعَوْهَا فَجَاءَتْ، فَقَالَ: «هَذَا ابْنُكِ؟». فَقَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهَا: «أَرَأَيْتِ لَوْ أُجِّجَتْ نَارٌ ضَخْمَةٌ فَقِيلَ لَكِ: إِنْ شَفَعْتِ لَهُ خَلَّيْنَا عَنْهُ وَإِلَّا حَرَقْنَاهُ بِهَذِهِ النَّارِ، أَكُنْتِ تَشْفَعِينَ لَهُ؟». قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذًا أَشْفَعُ. قَالَ: «فَأَشْهِدِي اللهَ وَأَشْهِدِينِي

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٢١٢٩ رقم ١٠٤١٥. وقال المنذري: رواته ثقات - الترغيب والترهيب ٣/ ٣٤٣.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٤/ ١٥٦ رقم٧٣٥٦، وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١/ ٢٤ رقم٢٩.

أَنَّكِ قَدْ رَضِيتِ عَنْهُ». فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ رَسُولَكَ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ عَنِ ابْنِي. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». فَقَالَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ [بِي] مِنَ النَّارِ»(١).

ي- وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ»(٢).

ك- وفي رواية للشيخين عن جبير بن مطعم عن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»(٣) أي: قاطع رحم.

قواعد أخلاقية:

- عقوق الوالدين من أكبر الكبائر.
- فعل ما يُؤدِّي إلى إيذاء الوالدين - كسبِّ الآخرين - حرام.
- عقوق الوالدين يُؤدِّي إلى الفقر والضنك.
- دعاء الوالدين مستجاب.
- إهمال مَن تجب النفقة عليه من أعظم الإثم.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٢/ ١٥٤ رقم ١٩٤١١ مختصرًا -وقال عبد الله بن أحمد فَلَمْ يُحَدِّثْ أَبِي بِهَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ ضَرَبَ عَلَيْهِمَا مِنْ كِتَابِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَرْضَ حَدِيثَ فَائِدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَانَ عِنْدَهُ مَتْرُوكَ الْحَدِيثِ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ١١٧٢ رقم ٥٤٧٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب - باب إثم القاطع ٨/ ٥رقم ٥٩٨٤.

- لا يقبل الله عمل قاطع الرحم.

- عقوبة العقوق دنيوية وأخروية.

- عقوق الأم يمنع من النطق بالشهادتين عند الموت.

- قاطع الرحم لا يدخل الجنة.

ثانيًا - الرحمة بالأطفال:

وهذا لون آخر من ألوان الرحمة التي حض عليها الإسلام، فالطفل ضعيف في حاجة إلى رحمة الكبير، وإذا شبع الأطفال من رحمة الكبار شَبُّوا أسوياء صالحين، وإذا ارتوى الأطفال من حنان الكبار نشؤوا أعضاء قادرين على النهوض بأمة الإسلام. وهذه بعض الأحاديث النبوية لترى منها مدى اهتمام الإسلام بهذا الجانب:

١ - عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ. وَأَنْزَلَ اللهُ تَصْدِيقَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان:٦٨][(١)].

٢ - عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب - باب قتل الولد خشية أن يأكل معه ٨/ ٨ رقم ٦٠٠١.

مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»[1].

٣- قال أَبُو قَتَادَةَ قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ عَلَى عَاتِقِهِ فَصَلَّى، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَ وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا»[2].

٤- وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا»[3].

٥- وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ»[4].

٦- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ لَا يُكَلِّمُنِي وَلَا أُكَلِّمُهُ، حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، ثُمَّ انْصَرَفَ حَتَّى أَتَى خِبَاءَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب - باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ٨/ ٧رقم ٥٩٩٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب - باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ٨/ ٧رقم ٥٩٩٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب وضع الصبي على الفخذ - ٨/ ٨ رقم ٦٠٠٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل - باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه ٧/ ٨٠ رقم ٢٣٢٩. وجؤنة العطار ما يعد فيها الطيب ويدخره.

فَاطِمَةَ، فَقَالَ: «أَثَمَّ لُكَعُ؟ أَثَمَّ لُكَعُ؟» يَعْنِي حَسَنًا، فَظَنَنَّا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحْبِسُهُ أُمُّهُ لِأَنْ تُغَسِّلَهُ وَتُلْبِسَهُ سِخَابًا، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ»(١).

٧- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضَعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ»(٢).

٨- وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَرْسَلَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ: إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ لِلهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ». فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ، قَالَ: «حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ: كَأَنَّهَا شَنٌّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين ٧/ ١٢٩ رقم ٢٤٢١. «خباء فاطمة»: بيتها، «لكع» أي: الصغير «ثم» أي: هل الصغير هنا؟ «سخابًا» جمع سخب وهو قلادة الأطفال تعمل من القرنفل والمسك والعود ونحوها.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل - باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك ٧/ ٦٧ رقم٢٣١٦، وعوالي المدينة: القرى المجاورة لها. «ظئره» أي: زوج مرضعته «قينًا» أي: حدادًا.



يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذَا؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»[1].

٩- وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَضَعَ صَبِيًّا فِي حِجْرِهِ يُحَنِّكُهُ فَبَالَ عَلَيْهِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ»[2].

١٠- عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَنَهْ سَنَهْ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَهِيَ بِالْحَبَشِيَّةِ: حَسَنَةٌ. قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فَزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: دَعْهَا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَبَقِيَتْ حَتَّى ذَكَرَ، يَعْنِي: مِنْ بَقَائِهَا»[3].

١١- قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعَ أُذُنَايَ هَاتَانِ، وَبَصُرَ عَيْنَايَ هَاتَانِ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدَيْهِ جَمِيعًا بِكَفَّيِ الْحَسَنِ، أَوِ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا وَقَدَمَيهِ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «ارْقَهْ»، قَالَ: فَرَقِيَ الْغُلَامُ حَتَّى وَضَعَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز - باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله ٢/ ٧٩/ ١٢٨٤، والشن: القربة القديمة اليابسة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب وضع الصبي في الحجر ٨/٨ رقم ٦٠٠٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب: باب من ترك صبية غيره تلعب به أو قبلها أو مازحها ٧/٨ رقم ٥٩٩٣، «زبرني» أي: زجرني ومنعني، «أبلى وأخلقي» يدعو لها بطول العمر فتستهلك ثيابًا كثيرة.

ثُـمَّ قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «افْتَحْ فَـاكَ»، ثُـمَّ قَبَّلَـهُ، ثُـمَّ قَـالَ: «اللَّهُـمَّ أَحِبَّـهُ، فَإِنِّي أُحِبُّهُ»[1].

١٢- عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَدُعِينَا إِلَى طَعَامٍ فَإِذَا حُسَيْنٌ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ، فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَامَ الْقَوْمِ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَمُرُّ مَرَّةً هَا هُنَا وَمَرَّةً هَا هُنَا، يُضَاحِكُهُ حَتَّى أَخَذَهُ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ فِي ذَقْنِهِ وَالْأُخْرَى فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ اعْتَنَقَهُ فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، سِبطَانِ مِنَ الْأَسْبَاطِ»[2].

١٣- عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ قَالَ: كُنْتُ شَاهِدًا لِابْنِ عُمَرَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ، فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، قَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا، يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»[3].

١٤- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ. قَالَ: أَحْسَبُهُ قَالَ: كَانَ فَطِيمًا. قَالَ: فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَآهُ قَالَ: «أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ» قَالَ: فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ[4].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بَابُ الِانْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ ١/ ٩٦ رقم ٢٤٩.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بَابُ مُعَانَقَةِ الصَّبِيِّ ١/ ١٣٣ رقم ٣٦٤.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ٧/٨ رقم ٥٩٩.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الآداب - باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته ٦/ ١٧٦ رقم ٢١٥٠، والنغير: طائر صغير كالعصفور.



١٥- جاء رَجُلٌ يَشْكُو قَسْوَةَ قَلْبِهِ، قَالَ: «أَتُحِبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ وَتُدْرِكَ حَاجَتُكَ؟ ارْحَمِ الْيَتِيمَ، وَامْسَحْ رَأْسَهُ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ، يَلِنْ قَلْبُكَ وَتُدْرِكْ حَاجَتَكَ»(١).

١٦- وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ، أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ»(٢).

ثالثًا: الرحمة بالحيوان:

وهذه هي الفقرة الأخيرة من «درس الرحمة» لنرى أن الرحمة لدى المسلم لا تقتصر على أهله وذوي أرحامه. ولا على إخوانه في دينه من المؤمنين، ولا على جنسه من البشر، بل تتعدى ذلك كله لتشمل جميع خلق الله، حتى الحيوان، وإليك بعض ما قاله من بعث رحمة للعالمين صلوات ربي وسلامه عليه.

١. عَنْ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ؛ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»(٣).

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١٦٠ رقم ١٣٥٠٨ من حديث أبي هريرة، وقال: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَفِي إِسْنَادِهِ مَنْ لَمْ يُسَمَّ، وَبَقِيَّةُ: مُدَلِّسٌ.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١/ ٦١ رقم ١٣٧ من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب قتل الحيات وغيرها - باب تحريم قتل الهرة ٧/ ٤٣ رقم ٢٢٤٢، وخشاش الأرض بفتح الخاء المعجمة وكسرها وضمها - هوام الأرض وحشراتها.

٢. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[1].

وفي رواية: «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا»[2].

٣. عن هِشَامَ بْنَ زَيْدِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ جَدِّي أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ دَارَ الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ، فَإِذَا قَوْمٌ قَدْ نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا، قَالَ: فَقَالَ أَنَسٌ: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ[3] أي: تحبس وهي حية، لتقتل بالرمي ونحوه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم ٨/ ٩ رقم ٦٠٠٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب قتل الحيات وغيرها - باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها ٧/ ٤٤ رقم ٢٢٤٥، «الثرى»: التراب، وأراد بالكبد الرطبة: الحيوان الحي، والبغي: الزانية. «يطيف ببئر» أي: يدور حولها، «أدلع لسانه»: أخرجه لشدة العطش، «نزعت له بموقها» أي: أخرجت له الماء بخفها.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان - باب النهي عَنْ صبر البهائم ٦/ ٧٢ رقم ١٩٥٦.

٤- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا»[(١)] أي: هدفًا ترمون إليه.

٥- وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»[(٢)].

٦- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا. وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا، فَقَالَ: مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟ قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان - باب النهي عَنْ صبر البهائم ٦/ ٧٣ رقم ١٩٥٧.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم ٢/ ٣٢٨ رقم ٢٥٤٩، «الهدف» ما ارتفع من البناء ونحوه، «حائش النخل»: النخل المجتمع، «الحائط»: البستان، «ذفرى البعير»: الموضع الذي يعرق من قفاه، «تدئبه»: تتعبه.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد، باب كراهية حرق العدو بالنار ٣/ ٨ رقم ٢٦٧٥، والحمرة: طير كالعصفور، وتعرش: ترفرف، وقرية النمل: مساكن النمل.



٧- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَجُلًا أَضْجَعَ شَاةً يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَهَا وَهُوَ يَحِدُّ شَفْرَتَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: «أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ؟ هَلْ حَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا»(١).

٨- وعن الشريد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا عَجَّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّ فُلَانًا قَتَلَنِي عَبَثًا، وَلَمْ يَقْتُلْنِي لِمَنْفَعَةٍ»(٢).

٩- وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مَرَّ حمار برسول الله ﷺ قد كوي في وجهه، يفور منخراه من دم، فقال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، ثُمَّ نَهَى عَنِ الْكَيِّ فِي الْوَجْهِ، وَالضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ»(٣).

١٠- وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ غَرَسَ غَرْسًا فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ»(٤).

وبعد، فقد كانت هذه بعض صور الرحمة كما جاء بها ديننا الحنيف، ولعل فيها درسًا لعالمنا المعاصر الذي قلَّت فيه الرحمة، وضعفت فيه

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب الذبائح ٤/ ٢٣٣ رقم ٧٦٦٥، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى كتاب الضحايا - بَابُ مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا بِغَيْرِ حَقِّهَا ١/ ٨٧١ رقم ٤٤٥٨، ومعنى «عج» أي: شكا إلى الله بصوت مرتفع.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه -كما في الإحسان- كتاب الحظر والإباحة - فصل فيما يتعلق بالدواب - ذكر لعن المصطفى ﷺ من فعل هذين الفعلين اللذين تقدم ذكرنا لهما١٢/ ٤٤٢ رقم ٥٦٥٦، «منخراه» ثقبا أنفه أي: ينزف دمًا.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ٨/ ١٠ رقم ٦٠١٢.

الشفقة، وضاعت فيه الرأفة، وكثرت فيه القسوة، واشتدت فيه مظاهر الغلظة، وتعددت فيه صور العنف نسأل الله الرحمن الرحيم أن يجعلنا من عباده الرحماء، وأن يحشرنا تحت لواء من أرسله رحمة للعالمين صلوات الله وسلامه عليه.

الفَصْلُ الثَّانِي

درس الحياء والعفة

- معنى الحياء والعفة.
- الحياء والعفة في القرآن الكريم.
- حياء النبي وعفته.
- حث النبي على الحياء والعفة.
- من صور الحياء والعفة.
- ليس من الحياء.

درس الحياء والعفة

معنى الحياء والعفة:

الحياء: تغيُّرٌ وانكسارٌ يعتري الإنسان من خوف ما يُعاب به ويُذم، هو انقباضٌ للنفس، يصونها عما يعيبها من قول أو فعل، فيدفعها إلى ترك القبيح، ويمنعها من التقصير في حق ذي الحق، سواء كان صاحب الحق هو الخالق أو الخلق.

قالوا: الحب ينطق، والحياء يسكت، والخوف يقلق.

فالحياء يسكت الحي، لكن حمرة الخجل تبدو في وجهه دليلًا على حيائه.

والحياء نوعان:

حياء فطري: يولد الإنسان مزودًا به كحياء الطفل عندما تنكشف عورته أمام الناس. وهذا منحة من الله جل في علاه.

وحياء كسبي: وهو الذي يكتسبه المسلم من دينه، فيمنعه من فعلِ ما يُذم شرعًا، مخافة أن يراه الله حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره.

والعفة: كَفُّ النفسِ عما لا يَحِلُّ، ومَنْعُهَا عما لا يجمل، وضبطها عند الشهوات، فهي حالة متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط في الشهوة، والجمود الذي هو تفريط فيها، وهي أصل لكثير من الفضائل الإسلامية.

وليست العفة هي القناعة، لأن القناعة اكتفاء الشخص بالقليل من مطالب البدن، وقد يكتفي إنسان بهذا، ولا يعتبر عفيفًا، لأنه لا يعف لسانه عن فضول الكلام، ويصونه عما حرم الله، كما أن القناعة تختلف من شخص لآخر؛ بسبب نظرة كل منهما إلى ما يحصل به القناعة، فالقناعة أمر نسبي، والعفة خلق ذاتي ثابت.

ولما كان الحياء والعفة متقاربين في المعنى جعلناهما في درس واحد.

الحياء والعفة في القرآن الكريم:

ورد ذكر الحياء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في المواضع الآتية:

١- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[البقرة:٢٦].

وقد نزلت هذه الآية لما قال الكفار: أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلًا بالذباب والعنكبوت؟

فرد عليهم القرآن بأن الله لا يترك ضرب الأمثال بالبعوض وما هو أخس منه، لأن الهدف من الأمثال توضيح المعاني بالأمور المشاهدة المعروفة والتي لا يمكن إنكارها، والمثل يختلف حسب المضروب له، فإن كان المضروب له المثل أمرًا عظيمًا، ضرب مثله بالنور، والشجرة الطيبة،

وإن كان المضروب له المثل أمرًا تافهًا حقيرًا كالأصنام، ضرب المثل بما يشبهه كالبعوض، والعنكبوت، والذباب، فما المانع من ذلك؟

ويكون في ضرب المثل اختبار للناس، فأما المؤمنون، فيعلمون أنه الحق من ربهم، فيزدادون إيمانًا، وأما الكافرون فيكونون في حيرة وتخبط، فيقولون: ماذا أراد الله بهذا مثلًا؟

٢- وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

والآية نزلت لما تزوج النبي ﷺ أم المؤمنين «زينب بنت جحش» وصنع وليمة، ودعا الناس إليها، فلما أكلوا بقي بعضهم جالسًا في بيت النبي يتحدثون، وقد ثقل ذلك على النبي، لكنه استحى من إظهار تألمه بذلك، فنزلت الآية لتنبيه المؤمنين إلى ما ينبغي ملاحظته من عدم دخول بيت النبي إلا بإذنه، وعدم الدخول قبل نضج الطعام، وانتظار إعداده وتهيئته، وعليهم الانصراف عقب تناول الطعام، وعدم الانتظار لتبادل أطراف الحديث، لأن ذلك يؤذي النبي ﷺ فيستحي من إبداء تضرره بذلك، والله لا يستحي من إظهار الحق، بل يبينه ليتأدب به المؤمنون.

٣- وفي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ

أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[القصص:٢٥].

والآية وردت ضمن قصة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لما خرج من مصر، وتوجه إلى مدين، ورأى جماعات من الناس حول الماء يسقون، ووجد من دونهما امرأتين تمنعان أغنامهما من ورود الماء حتى يسقي الأقوياء أولًا لضعفهما، فدفعته شهامته ومروءته إلى أن يسقي لهما، ثم جلس في ظل شجرة يستريح ويناجي ربه.

فجاءته إحدى المرأتين تمشي على استحياء، فكأنه لشدة حيائها، قد فاض حياؤها حتى ملأ الأرض حياء، فهي تمشي عليه، فتأمل كيف آثر القرآن وصفها بهذه الصفة، ولم يذكر لها غير تلك الصفة!

ثم تستمر الآيات في سرد باقي فصول القصة.

وورد ذكر مادة «العفة» في القرآن الكريم في الآيات التالية:

١- قوله تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٧٣].

والآية تبين أحق الناس بالصدقة، وهم الفقراء الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله، وهم أهل الصفة الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ

وتركوا أموالهم وديارهم في مكة. ولا يستطيعون سفرًا للتجارة لظروفهم، وهم مع فقرهم وشدة احتياجهم لا يسألون الناس أصلًا، أو لا يسألون الناس ملحين وملحفين. وإذا رآهم من لا يعرفهم ظنهم من الأغنياء لتعففهم عن المسألة، ولكنه إذا أمعن النظر إليهم رأى علامات الفقر والحاجة بادية عليهم، فهؤلاء ومن على شاكلتهم أحق الناس بالصدقة.

٢- قوله سبحانه: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:٦].

والآية تأمر الأوصياءَ على اليتامى أن يختبروهم ليعرفوا مدى إدراكهم وتصرُّفِهم الصحيح في أموالهم قبل أن يُسلِّموها إليهم، وذلك عند بلوغهم سن الزواج، فإن ظهر لهم رُشْدُهُم وحُسْنُ تصرُّفِهم سلَّموا لهم أموالهم، ولا يجوز للأوصياء أن يأكلوا أموال الأيتام عن طريق الإسراف والتبذير ولا أن يبادروا إلى إنفاقها قبل أن يبلغ اليتيم فإن ذلك محرم شرعًا.

أما أكل الوصي بلا إسراف وبلا مبادرة، فإن كان غنيًا، فليستعفف عن الأكل من مال اليتيم، وإن كان فقيرًا، فليأكل منه بالمعروف شرعًا وعرفًا.

فإن اختبر الوصي اليتيم، وتبيَّن له حُسْنُ تصرُّفِه في أمواله، دفعها إليه، وذلك بحضور الشهود، وكفى بالله شهيدًا ورقيبًا.

٣- قوله عزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ

إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [النور:٣٢-٣٣].

والآية تطالب الأولياء بتزويج مَن لا زوج له، ولا يتعلل بالفقر، فإن يكونوا فقراء يُغنهم الله من فضله، وقد ورد في الحديث الشريف: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ»(١).

ففضل الله واسع، وخزائنه ملأى، وكرمه عظيم.

أما الذين لا تمكنهم ظروفهم المادية من الزواج فعليهم الأخذ بوسائل العفة من البُعْدِ عن المثيرات، لأن الغريزة تنشط بكثرة مثيراتها، وتهدأ بقلة مثيراتها، وعدم الاختلاط، وقضاء الأوقات فيما يفيد، لأن الفراغ يشجع على الانحراف، وتقوية الجانب الروحي بذكر الله، والصلاة، والعلم، ومجالسة الأصدقاء الصالحين، والعلماء العاملين.

والصوم من أعظم وسائل التعفف للشباب الذين لا يجدون فرصة الزواج، قال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم ٣/ ٢٨٨ رقم ١٦٥٥ من حديث أبي هريرة، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح - باب من لم يستطع الباءة فليصم ٧/ ٣ رقم ٥٠٦٦، من حديث عبد الله بن مسعود.



٤- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[النور:٥٨-٦٠].

ففي هذه الآيات المباركات تشريع لآداب الاستئذان داخل البيوت وبين أفراد الأسرة، فعلى ولي الطفل الذي لم يبلغ سن البلوغ أن يعلمه الاستئذان على أهله قبل الدخول في ثلاثة أوقات:

الوقت الأول: من قبل صلاة الفجر: فالناس في هذا الوقت نِيامٌ، وسيستيقظون للصلاة وربما احتاجوا إلى تغيير ملابسهم.

الوقت الثاني: وقت الظهيرة: وهو وقت القيلولة، ويختلف من شخص لآخر، وفي هذا الوقت قد يتخفَّف الإنسان من ملابسه، ويكون مع أهله.

الوقت الثالث: مِن بَعْدِ صلاة العشاء: لأنه وقت الفراغ من العمل، والأنس بالأهل والاستعداد للنوم.

فهذه ثلاث عوراتٍ لكم، والعورة ما يكره الإنسان أن يطَّلِعَ عليه غيره،

وفي غير هذه الأوقات لا حرج عليكم في عدم الاستئذان داخل البيت بين أفراده، لأنه لو شرع الاستئذان لشق عليكم.

وإذا بلغ الأطفال سن التكليف، فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم، وهم من ذكرهم الله في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾[النور:٢٧-٢٩].

والقواعد من النساء اللاتي أغلب أوقاتهن القعود في البيوت لكبرهن. لا حرج عليهن أن يضعن ثيابهن غير مظهرات للزينة، وإن جاز هذا، فالاستعفاف بالستر أفضل وأكمل، والله سميع عليم.

وعلى المستأذن أن يراعي آداب الاستئذان، فلا يستأذن أكثر من ثلاث مرات. ما دام غلب على ظنه أن من في البيت قد علم به:

فَعَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: كُنْتُ جَالِسًا بِالْمَدِينَةِ فِي مَجْلِسِ الْأَنْصَارِ، فَأَتَانَا أَبُو مُوسَى فَزِعًا أَوْ مَذْعُورًا، قُلْنَا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: إِنَّ عُمَرَ أَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ آتِيَهُ، فَأَتَيْتُ بَابَهُ فَسَلَّمْتُ ثَلَاثًا، فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيَّ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنَا؟ فَقُلْتُ: إِنِّي أَتَيْتُكَ فَسَلَّمْتُ عَلَى بَابِكَ ثَلَاثًا فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيَّ فَرَجَعْتُ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا اسْتَأْذَنَ

أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ، فَقَالَ عُمَرُ: أَقِمْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةَ، وَإِلَّا أَوْجَعْتُكَ. فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: لَا يَقُومُ مَعَهُ إِلَّا أَصْغَرُ الْقَوْمِ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: قُلْتُ: أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، قَالَ: فَاذْهَبْ بِهِ(١).

وإذا أجابه من في الدار، وسأل من بالباب، فعليه أن يعرف بنفسه، ولا يكتفي بكلمة «أنا» فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنَا أَنَا، كَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ(٢).

وعلى المستأذن أن لا يتطلع ببصره داخل البيت عند الاستئذان. فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَنِ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَئُوا عَيْنَهُ»(٣).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ بِحَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ، مَا كَانَ عَلَيْكَ مِنْ جُنَاحٍ»(٤).

وعن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ فِي جُحْرٍ فِي بَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَآهُ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الآداب، باب الاستئذان ٦/ ١٧٧ رقم ٢١٥٣ «أقم عليه البينة» أي: هلت شاهدًا على ثبوت الحديث «فاذهب به» أي: معه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الآداب - باب كراهة قول المستأذن أنا إذا قيل من هذا ٦/ ١٨٠ رقم ٢١٥٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الآداب - باب تحريم النظر في بيت غيره ٦/ ١٨١/ ٢١٥٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الآداب - باب تحريم النظر في بيت غيره ٦/ ١٨١ رقم ٢١٥٨، ومعنى «حذفته بحصاة» أي: رميته بها.

رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُنِي لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ» وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الإِذْنُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ»(١).

وفي رواية لأبي داود: «فَإِنَّمَا الِاسْتِئْذَانُ مِنَ النَّظَرِ»(٢).

وهذا يسلمنا إلى حديث القرآن الكريم عن أحكام النظر لصلتها بدرس الحياء والعفة.

أحكام النظر:

أ. **نظر الزوجين إلى بعضهما**: يجوز لكل منهما أن ينظر إلى ما يشاء من الآخر. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[المؤمنون:٥-٦]، [المعارج:٢٩-٣٠].

ب. **النظر إلى المحارم**: وهن المحرمات حُرْمَةً مُؤَبَّدَةً سواء كان التحريم بالنسب، أو الرضاع، أو المصاهرة. فلا يجوز النظر إلى ما بين السرة والركبة ويجوز النظر لغير ذلك إن أمن الشهوة.

والمحرمات بالنسب سبع نسوة مذكورات في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الآداب - باب تحريم النظر في بيت غيره ٦/ ١٨٠ رقم ٢١٥٦، «جحر» أي: ثقب في الباب، «مدرى يحك بها رأسه» أي: مشط يسرح به شعره.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب - أبواب النوم - باب في الاستئذان ٤/ ٥٠٩/ ٥١٧٤.

عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ﴾ [النساء:٢٣].

والمحرمات بالرضاع سبع أيضًا، وهن نظائر المذكورات، قال تعالى في الآية السابقة: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾

[النساء:٢٣].

وَعَنْ عَمْرَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عِنْدَهَا، وَإِنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتَ رَجُلٍ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أُرَاهُ فُلَانًا (لِعَمِّ حَفْصَةَ مِنَ الرَّضَاعَةِ)، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ كَانَ فُلَانٌ حَيًّا (لِعَمِّهَا مِنَ الرَّضَاعَةِ) دَخَلَ عَلَيَّ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: نَعَمْ، إِنَّ الرَّضَاعَةَ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ[1].

والمحرمات بالمصاهرة أربع نسوة:

أم الزوجة: قال تعالى في الآية السابقة: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾.

وبنت الزوجة: قال سبحانه: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء:٢٣].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الرضاع، باب يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة ٤/ ١٦٢/ ١٤٤٤.



وزوجة الابن: قال تعالى في الآية المذكورة: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾.

وزوجة الأب: قال سبحانه: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[النساء:٢٢].

والدليل على حكم النظر المذكور قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[النور:٣١].

ج. **نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية:** لا يجوز للرجل أن ينظر إلى المرأة الأجنبية إلا في حالات الضرورة، كالنظر للخطبة، أو لأداء الشهادة أو للعلاج. قال تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾[النور:٣٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ،

وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»[(١)].

وعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ، وَالْمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِالْمَجْلِسِ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا، يَعْنِي زَانِيَةً»[(٢)].

وَعَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، رَفَعَهُ قَالَ: «يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ»[(٣)].

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي»[(٤)].

د. نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي: يجوز للمرأة أن تنظر إلى الأجنبي إلا عورته، وهي ما بين السرة والركبة، وذلك إن أمنت الفتنة. فقد روت عائشة: كَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ، فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَإِمَّا قَالَ: «تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ». فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر - باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره ٨/ ٥٢ رقم ٢٦٥٧.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة ٤/ ٤٨٧ رقم ٢٧٨٦. وقال حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في نظرة المفاجأة ٤/ ٤٨١ رقم ٣٠١٨، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الآداب، باب نظر الفجأة ٦/ ١٨١/ ٢١٥٩.

وَهُوَ يَقُولُ: «دُونكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ». حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ، قَالَ: «حَسْبُكِ». قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَاذْهَبِي»(١).

هـ. نظر الرجال إلى الرجال، والنساء إلى النساء: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ. وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ»(٢) وعورة المرأة مع المرأة ما بين السرة والركبة.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ حَتَّى تَصِفَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا»(٣).

هذه أهم أحكام النظر التي شرعها الإسلام، وبعد هذه الجولة مع الحياء والعفة في القرآن الكريم ننتقل إلى الفقرة التالية:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد٢/ ١٦ رقم ٩٥٠، وكلمة «دونكم» كلمة إغراء، و «بني أرفدة» لقب للحبشة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحيض - باب تحريم النظر إلى العورات ١/ ١٨٣ رقم ٣٣٨.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب في كراهية مباشرة الرجال الرجال والمرأة المرأة٤/ ٤٩١ رقم ٢٧٩٢، وقال: حديث حسن صحيح.

حياء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعفته:

لقد بلغ الرسول قمة الحياء، وأعلى مراتب العفة.

أ- قال أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ»(١).

ب- وقالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: «وَاللهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غَيْرَ أَنَّهُ يُبَايِعُهُنَّ بِالْكَلَامِ»(٢).

ج- وعن عبد اللهِ بْنُ بُسْرٍ، صَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى بَابًا يُرِيدُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ لَمْ يَسْتَقْبِلْهُ، جَاءَ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِنْ أُذِنَ لَهُ وَإِلَّا انْصَرَفَ»(٣).

د- وعن عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْ حَيْضَتِهَا؟ قَالَ: فَذَكَرَتْ أَنَّهُ عَلَّمَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فَتَطَهَّرُ بِهَا، قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا؟ قَالَ: «تَطَهَّرِي بِهَا، سُبْحَانَ اللهِ، وَاسْتَتَرَ»، وَأَشَارَ لَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: «وَاجْتَذَبْتُهَا إِلَيَّ، وَعَرَفْتُ مَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ ٧/ ٧٨ رقم ٢٣٢٠، والعذراء: البكر لأن عذرتها وهي جلدة البكارة باقية، والخدر: الستر يجعل للبكر في جنب البيت.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب كيفية بيعة النساء ٦/ ٢٩ رقم ١٨٦٦.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بَابُ: كَيْفَ يَقُومُ عِنْدَ الْبَابِ؟ ١/ ٣٧٠ رقم ١٠٧٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض =

هـ- وعَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو: «اللَّهُـمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالْعَفَافَ، وَالْغِنَى»(١).

و- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ وَنَحْنُ جَمِيعًا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: «بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟»(٢)!!

ز- قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفِحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي»(٣).

فسعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - غيور على أهل بيته، والرسول ﷺ أغير من سعد، والله جل في علاه أغير من النبي، من أجل ذلك حرم الله الفواحش، وبعث المرسلين مبشرين ومنذرين.

=فرصة من مسك في موضع الدم ١/ ١٧٩ رقم ٣٣٢، «فرصة من مسك» أي: قطنة بها طيب، «سبحان الله» تعجب من خفاء الأمر الواضح.

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بَابُ دَعَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ ١/ ٣٢٥ رقم ٦٧٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٧/ ١١٤ رقم ٢٣٩٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحدود وما يحذر من الحدود - باب من رأى مع امرأته رجلا فقتله ٨/ ١٧٣ رقم ٦٨٤٦، «غير مصفح» أي: غير ضارب بصفح السيف، وهو جانبه، بل أضربه بحده لأقتله.

ح- وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حريصًا على بقاء سمعته طيبة، وسيرته نقية بعيدة عن الشبهات والشوائب. فَعَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ لِأَنْقَلِبَ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي - وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ !» فَقَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا - أَوْ قَالَ: شَيْئًا»[1].

حثُّ النبيِّ على الحياء والعفة:

وقد كان ﷺ حييًا عفيفًا، وحض المسلمين على هذا الحياء وهذه العفة، حتى يكون المجتمع كله طاهرًا نقيًا:

أ- عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[2].

ب- وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»[3].

(١) اخرجه مسلم في صحيحه كتاب السلام - باب بيان أنه يستحب لمن رؤى خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ٧/ ٨ رقم ٢١٧٥ «لأنقلب» أي: لأعود إلى بيتي، وهي زوجته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان ١/ ٤٦ رقم ٣٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد، باب الحياء ٥/ ٢٧٦ رقم ٤١٨١.

ج- وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ»[١].

د- وعن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»[٢].

هـ- وعن أبي مسعود قال: قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ»[٣].

فهذه العبارة مما حفظه الناس جيلًا بعد جيل من وحي الأنبياء السابقين، ومعمول به في شريعتنا نحن المسلمين.

والأمر في قوله: «فاصنع ما شئت» للتهديد والوعيد، أي إذا لم يكن لديك حياء، فاعمل ما شئت، فالله يحاسبك عليه، كقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت:٤٠].

أو أنه أمر ومعناه الخبر، أي: من لم يستحي صنع ما شاء لأن الذي يمنعه من فعل القبيح الحياء، فإذا لم يوجد الحياء، انهمك في الفحشاء والرذائل والمنكرات.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد، باب الحياء ٥/ ٢٧٩ رقم ٤١٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب - باب الحياء٨/ ٢٩ رقم ٦١١٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء - باب حدثنا أبو اليمان ٤/ ١٧٧ رقم ٣٤٨٣.

و- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»(١).

ز- وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عَبْدًا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، لَمْ تُلْقِهِ إِلَّا مَقِيتًا مُمَقَّتًا، فَإِذَا لَمْ تُلْقِهِ إِلَّا مَقِيتًا مُمَقَّتًا نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ، لَمْ تُلْقِهِ إِلَّا خَائِنًا مُخَوَّنًا، فَإِذَا لَمْ تُلْقِهِ إِلَّا خَائِنًا مُخَوَّنًا، نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ، لَمْ تُلْقِهِ إِلَّا رَجِيمًا مُلَعَّنًا، فَإِذَا لَمْ تُلْقِهِ إِلَّا رَجِيمًا مُلَعَّنًا، نُزِعَتْ مِنْهُ رِبْقَةُ الْإِسْلَامِ»(٢).

وهذا ترتيب دقيق في وصفه لأمراض النفوس وتتبعه لأطوارها، وكيف تسلم كل مرحلة خبيثة إلى أخرى أشد نكرًا، فإن الرجل إذا مزق الحجاب عن وجهه، ولم يتهيب على عمله حسابًا، ولم يخشى في سلوكه لومة لائم، مد يد الأذى للناس، وطغى على كل من يقع في سلطانه، ومثل هذا الشخص الشرس لن يجد قلبًا يعطف عليه، بل إنه يغرس الضغائن في القلوب وينميها.

وأيُّ حب لامرئ جريء على الله وعلى الناس، لا يرده عن الآثام حياء؟ فإذا صار الشخص بهذه المثابة لم يؤتمن على شيء قط؛ إذ كيف يؤتمن على أموال لا يخجل من أكلها، أو على أعراض لا يستحي من فضحها، أو على

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بَابُ الْحَيَاءِ ١/ ٢١٠ رقم ٦٠١.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه أبواب الفتن - باب ذهاب الأمانة ٥/ ١٧٧ رقم ٤٠٥٤، والمقت: أشد البغض، والرجم: السب والشتم، أو الطرد والإبعاد.



موعد لا يهمه أن يخلفه، أو على واجب لا يبالي أن يفرط فيه، أو على بضاعة لا يتنزه عن الغش فيها؟

فإذا فَقَدَ الشخصُ حياءَهُ، وفَقَدَ أمانتَه، أصبح وحشًا كاسرًا، ينطلقُ مُعَرْبِدًا وراء شهواته، ويدوس في سبيلها أزكى العواطف، فهو يغتال أموال الفقراء غير شاعر نحوهم برقة، وينظر إلى آلام المنكوبين والمستضعفين، فلا يهتزُّ فؤادُه بشفقةٍ، إن أثرته الجامحة وضعت على عينيه غشاوة مظلمة، فهو لا يعرف إلا ما يغويه ويغريه بالمزيد.. ويوم يبلغ امرؤ هذا الحضيض، فقد أفلت من قيود الدين، وانخلع من ربقة الإسلام[(1)].

ح- وعن أسامة بن زيد، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، عن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِي النَّاسِ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»[(2)].

ط- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، قَالَ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ، فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ، وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»[(3)].

---

(1) خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي ص١٩٨.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الرقاق - باب أكثر أهل الجنة الفقراء ٨/ ٨٩ رقم ٢٧٤١، والترمذي في جامعه أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في تحذير فتنة النساء ٤/ ٤٨٣ رقم ٢٧٨٠، وقال: حديث حسن صحيح.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر ٢٣/ ١٠٢ رقم ١٠٥٣.

ي- وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «أَلَا أَيُّ شَهْرٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً، قَالُوا: أَلَا شَهْرُنَا هَذَا، قَالَ: أَلَا أَيُّ بَلَدٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً، قَالُوا: أَلَا بَلَدُنَا هَذَا، قَالَ: أَلَا أَيُّ يَوْمٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً قَالُوا: أَلَا يَوْمُنَا هَذَا، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ حَرَّمَ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يُجِيبُونَهُ: أَلَا نَعَمْ. قَالَ: وَيْحَكُمْ، أَوْ وَيْلَكُمْ، لَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»(١).

ك- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ، تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ، أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحدود وما يحذر من الحدود - باب ظهر المؤمن حمى إلا في حد أو حق ٨/ ١٥٩ رقم ٦٧٨٥ واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان - باب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ١/ ٥٨ رقم ٦٦ من حديث عبد الله بن عمر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة - باب إذا تصدق على غني وهو لا يعلم =

من صور الحياء والعفة:

الحياء من الله وملائكته:

١ . عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ». قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلهِ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»(١).

٢ . قَالَ بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ، قَالَ: «احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ»، فَقَالَ: الرَّجُلُ يَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: «إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ فَافْعَلْ». قُلْتُ: وَالرَّجُلُ يَكُونُ خَالِيًا، قَالَ: «فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ»(٢).

٣. وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ

=٢/ ١١٠ رقم ١٤٢١، ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في غير أهلها ٣/ ٨٩ رقم ١٠٢٢ واللفظ له.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ - باب ٤/ ٢٤٦ رقم ٢٤٥٨، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. و قَالَ الْمُنَاوِيُّ: قَالَ الْحَاكِمُ صَحِيحٌ، وَأَقَرَّهُ الذَّهَبِيُّ انْتَهَى. تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي: (٣/ ٣٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في حفظ العورة ٤/ ٤٧٦ رقم ٢٧٦٩، وقال: حديث حسن.

وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ نَفَرٌ ثَلَاثَةٌ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ»[(1)].

فالثاني تَرَكَ مزاحمةَ الناسِ وتخطَّى رقابهم حياءً من الله، فأثابه الله مغفرة ورحمة.

٤. عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّيَ، فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ، وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ»[(2)].

٥. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِيَسْتَحِ أَحَدُكُمْ مِنْ مَلَكَيْهِ اللَّذَيْنِ مَعَهُ كَمَا يَسْتَحِي مِنْ رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ مِنْ صَالِحِ جِيرَانِهِ، وَهُمَا مَعَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»[(3)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم - باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ١/ ٢٤ رقم ٦٦، ومسلم في صحيحه كتاب السلام - باب من أتى مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم ٧/ ٩ رقم ٢١٧٦ واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الاستتار عند الجماع ٤/ ٤٩٦ رقم ٢٨٠٠، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان باب الحياء ١٠/ ١٧٨ رقم ٧٣٤٤ من حديث أبي هريرة.

ويصل المسلم إلى مرتبة الحياء من الله إذا نظر في نِعَمِهِ جل في علاه، ورأى نفسه مُقصِّرًا في شكرها، فيستحي أن يقابل النِّعَمَ والآلاءَ بالكفران والنكران.

«والحياء في أسمى منازله وأكرمها يكون من الله عَزَّوَجَلَّ، فنحن نطعم من خيره، ونتنفس في جوه، وندرج على أرضه، ونستظل بسمائه، والإنسان بإزاء النعمة الصغيرة من مثله يخزي أن يقدم إلى صاحبها إساءة، فكيف لا يوجل الناس من الإساءة إلى ربهم، الذي تغمرهم آلاؤه من المهد إلى اللحد، وإلى ما بعد ذلك من خلود طويل»(١).

إن الإنسان عندما يصل إلى درجة الحياء من الله وملائكته تستحي الملائكة منه، كالصحابي الجليل ذي النورين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ!

فعن عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ ! فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ!!»(٢).

---

(١) خلق المسلم ص٢٠٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان ٧/ ١١٦ رقم ٢٤٠١، «فلم تهتش» من الهشاشة، وهي: البشاشة وطلاقة الوجه.

عفة اللسان:

يقول تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:١١٤].

ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[الحجرات:١١].

واللسان نعمةٌ عظيمةٌ من نِعَمِ الله تعالى، وهو على صِغَرِ حجمِه شأنه خطير، وأثره عجيب، وعلى المسلم أن يصونه، ويحترس منه، وأن يعفه عن الخوض في الباطل، والمراء، والجدال، والخصام، وأن يحفظه عن الفحش، والسب، واللعن، والسخرية، والاستهزاء، وأن يصونه عن الكذب، والغيبة، والنميمة، وما شاكل ذلك، بل عليه أن يتعلم متى يكون الصمت أفضل من الكلام.

وفيما يلي نعرض بعض الأحاديث النبوية التي تحض على عفة اللسان:

أ- عن سهل عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(١).

ب- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»(٢).

جـ- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(٣).

د- وعنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»(٤).

هـ- وَعَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٤/ ٣٩٧ رقم ١٥٦٣٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق – باب حفظ اللسان ٨/ ١٠٠ رقم ٦٤٧٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق – باب حفظ اللسان ٨/ ١٠٠ رقم ٦٤٧٥، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان – باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا من الخير وكون ذلك كله من الإيمان ١/ ٤٩ رقم ٤٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق – باب حفظ اللسان ٨/ ١٠١ رقم ٦٤٧٨، واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق – باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار ٨/ ٢٢٣ رقم ٢٩٨٨.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن – باب قول النبي لا ترجعوا بعدي كفارًا =

و- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا»[1].

ز- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[2].

ح- وعندما سأل معاذ الرسول الله ﷺ: «وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»[3].

ط- وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ»[4].

فهذه التوجيهات النبوية تحضُّ المسلمَ على أن يكون عفيفَ اللسانِ.

=يضرب بعضكم رقاب بعض ٩/ ٥٠ رقم ٧٠٧٦، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان - باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ١/ ٥٧ رقم ٦٤.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ٨/ ٢٦ رقم ٦١٠٣.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ - باب ٤/ ١٤٨ رقم ٢٣١٧.

(٣) أخرجه ابن ماجه سننه أبواب الفتن - باب كف اللسان في الفتنة ٥/ ١١٦ رقم ٣٩٧٣.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في اللعنة ٣/ ٥٢٠ رقم ١٩٧٧ من حديث ابن مسعود، وقال: حسن غريب، والحاكم في مستدركه كِتَابُ الْإِيمَانِ - ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي ١/ ١٢ رقم ٢٩، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ.

تشريعات أخلاقية لتأصيل الحياء والعفة في نفوس المؤمنين:

تناولنا في فصل «حماية أخلاقنا» ما شرعه الإسلام لحماية الحياء والعفة من عقوبات لجرائم الزنا، واللواط، وقذف المحصنات، ونضيف هنا أحكامًا أخرى شرعها ديننا الحنيف لتأصيل الحياء والعفة في نفوس أتباعه:

١ - منع خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية، وحرم الدخول على النساء المغيبات بدون محرم:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ». فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً وَاكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «ارْجِعْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ»(١).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: «الْحَمْوُ الْمَوْتُ»(٢).

والحمو أقارب الزوج ممن ليس بمحرم، كأخيه، وابن أخيه، وعمه، وابن عمه ونحوهم، ومعنى «الحمو الموت» أن الخوف منه أكثر من غيره،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح - باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة ٧/ ٣٧ رقم ٥٢٣٣، واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب الحج - باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ٤/ ١٠٤ رقم ١٣٤١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح - باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة ٧/ ٣٧ رقم ٥٢٣٢، ومسلم في صحيحه كتاب السلام - باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها ٧/ ٧ رقم ٢١٧٢.

والفتنه منه أكثر توقعًا لتمكنه من الدخول على المرأة، والخلوة بها من غير أن ينكر عليه أحد في العادة، بخلاف الشخص الأجنبي، فالخلوة بالحمو هلاك للدين كهلاك الموت، وأما الحمو من المحارم، كأبيه وابنه فلا مانع من دخوله.

وفي الحديث أنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ حَدَّثَهُ أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ دَخَلُوا عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - وَهِيَ تَحْتَهُ يَوْمَئِذٍ - فَرَآهُمْ فَكَرِهَ ذَلِكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ: لَمْ أَرَ إِلَّا خَيْرًا! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَدْ بَرَّأَهَا مِنْ ذَلِكَ». ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «لَا يَدْخُلَنَّ رَجُلٌ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا عَلَى مُغِيبَةٍ إِلَّا وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوِ اثْنَانِ»(١).

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا لَا يَبِيتَنَّ رَجُلٌ عِنْدَ امْرَأَةٍ ثَيِّبٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَاكِحًا أَوْ ذَا مَحْرَمٍ»(٢).

٢- منع سفر المرأة بدون محرم:

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، تُسَافِرُ مَسِيرَةَ ثَلَاثِ لَيَالٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم كتاب السلام - باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها ٧/ ٧ رقم ٢١٧٣. «وهي تحته» أي: زوجته، والمغيبة: المرأة التي غاب زوجها عن منزلها.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب السلام - باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها ٧/ ٧ رقم ٢١٧١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ٤/ ١٠٢ رقم ١٣٣٨.



٣- حرَّم تشبُّهَ الرجال بالنساء، والنساء بالرجال: وذلك في الزِّيِّ، والكلام، والحركة، والطيب ونحو ذلك.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهَاتِ بِالرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهِينَ بِالنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ»(١).

وعنه قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «طِيبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ»(٣).

فلو عكست المرأة الأمر، لكان ذلك تشبهًا بالرجال، وهو محرَّم.

٤- طلب الإسلام من الزوجة تحقيق رغبة زوجها: فإن الزوج إذا أشبع غريزته مع أهله، لم يلتفت إلى ما حرَّم الله.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب اللباس - باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال ٧/ ١٥٩ رقم ٥٨٨٥، والترمذي في جامعه أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في المتشبهات بالرجال من النساء ٤/ ٤٨٦ رقم ٢٧٨٤، واللفظ له، وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب اللباس - باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت ٧/ ١٥٩ رقم ٥٨٨٦، والترمذي في جامعه أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في المتشبهات بالرجال من النساء ٤/ ٤٨٧ رقم ٢٧٨٥، واللفظ له، وقال: حسن صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في طيب الرجال والنساء ٤/ ٤٨٨ رقم ٢٧٨٧.



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»(١).

وليحقق لقاء الزوجين هدفه من العفة والإنجاب علم النبي المسلمين أن يذكروا الله تعالى: فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي أَهْلَهُ: بِاسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، ثُمَّ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ أَوْ قُضِيَ وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»(٢).

٥- نهي النساء عن تغيير خلق الله في أجسادهن:

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «لَعَنَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ مُبْتَغِيَاتٍ لِلْحُسْنِ مُغَيِّرَاتٍ خَلْقَ اللهِ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها ٧/ ٣٠ رقم ٥١٩٣، ومسلم في صحيحه كتاب النكاح - باب تحريم امتناعها من فراش زوجها ٤/ ١٥٧ رقم ١٧٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله - الفتح ٧/ ٢٣ رقم ٥١٦٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن - سورة الحشر - باب وما آتاكم الرسول فخذوه ٦/ ١٤٧ رقم ٤٨٨٦، ومسلم في صحيحه كتاب اللباس والزينة - باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة ٦/ ١٦٦ رقم ٢١٢٥، والترمذي في جامعه أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة ٤/ ٤٨٤ رقم ٢٧٨٢ وهذا لفظه، وقال: حسن صحيح. والواشمة: هي التي ترسم بعض النقوش على يدها بإبرة حتى يظهر الدم، ثم تحشوه بالكحل فيخضر، والمستوشمة هي: التي تطلب أن يفعل ذلك بها، والنامصة هي: التي تنتف شعر وجهها بالمماص، وهو المنقاش، والمتنمصة هي: التي يفعل ذلك بها.

وَعَـنِ ابْـنِ عُمَـرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَـالَ: «لَعَـنَ اللهُ الْوَاصِـلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ»[1].

٦- شرع الإسلام آداب الطريق:

عَـنْ أَبِـي سَـعِيدٍ الْخُـدْرِيِّ، عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ: «إِيَّـاكُمْ وَالْجُلُـوسَ فِـي الطُّرُقَـاتِ». قَـالُوا: يَـا رَسُـولَ اللهِ، مَـا لَنَـا بُـدٌّ مِـنْ مَجَالِسِـنَا نَتَحَـدَّثُ فِيهَـا. قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «فَـإِذَا أَبَيْـتُمْ إِلَّا الْمَجْلِـسَ فَـأَعْطُوا الطَّرِيـقَ حَقَّـهُ». قَـالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»[2].

٧- وحذر الإسلام من المجاهرة: فإذا ألَمَّ المؤمِن بمعصية، ولم ينكشف أمره، فعليه أن يستر على نفسه، ولا يُجاهِر بذكر المعصية. هذا إذا لم تكن المعصية متعلقة بحقِّ آدمِّي يُمكن ردُّه إليه، فيجب رده.

فعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب اللباس - باب الوصل في الشعر ٧/ ١٦٥ رقم ٥٩٣٧، ومسلم في صحيحه كتاب اللباس والزينة - باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة ٦/ ١٦٥ رقم ٢١٢٢، والواصلة: هي التي تصل شعر المرأة بشعر آخر، والمستوصلة: التي تطلب أن يفعل بها ذلك. وهو زور وكذب وغش.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم - باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات ٣/ ١٣٢ رقم ٢٤٦٥، ومسلم في كتاب اللباس والزينة - باب النهي عَنْ الجلوس فِي الطرقات وإعطاء الطريق حقه٦/ ١٦٥ رقم ٢١٢١.

سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ»[1].

وذلك حتى لا تشيع الفاحشة وتنتشر أخبارها في المجتمع، فيهون أمرها، فيدفع ذلك إلى ارتكابها.

٨- وحثَّ وَلِيِّ المرأةِ أن يُسارع بتزويجها، بمجرد أن يجد لها الزوج الصالح. قال رسول الله ﷺ لعليّ: «ثَلَاثٌ لَا تُؤَخِّرْهُنَّ: الصَّلَاةُ إِذَا آنَتْ، وَالْجِنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالْأَيِّمُ إِذَا وَجَدَتْ كُفُوًا»، هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ[2] والأيم: المرأة التي لا زوج لها بكرًا كانت أو ثيبًا.

وجعل للمرأة الحق في اختيار شريك حياتها: فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، يُسْتَأْمَرُ النِّسَاءُ فِي أَبْضَاعِهِنَّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: فَإِنَّ الْبِكْرَ تُسْتَأْمَرُ فَتَسْتَحْيِي فَتَسْكُتُ؟ قَالَ: «سُكَاتُهَا إِذْنُهَا»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه ٨/ ٢٠ رقم ٦٠٦٩، ومسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق - باب النهي عَنْ هتك الإنسان ستر نفسه ٨/ ٢٢٤ رقم ٢٩٩٠.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الوقت الأول من الفضل ١/ ٢١٣ رقم ١٧١، والحاكم في مستدركه كتاب النكاح - تزوجوا الودود الولود ٢/ ١٦٢ رقم ٢٧٠١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإكراه، باب لا يجوز نكاح المكره ٩/ ٢١ رقم ٦٩٤٦، ومسلم في صحيحه كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت ٤/ ١٤٠ رقم ١٤٢٠.

ليس من الحياء:

ولا يعتبر حييًا شرعًا مَنْ دَفَعَهُ حياؤه إلى فعلِ أمرٍ منهيٍّ عنه في الشرع، أو إلى تركِ أمرٍ مرغوبٍ في الدين.

فمن استحى أن يُؤدِّيَ الصلاةَ الواجبةَ بسببِ ضيوفٍ عنده حتى فاتَ وقتُ الصلاةِ ليس حييًا.

ومَنَ رافقَ إخوانَ السوءِ، فوجدهم يشربون الخمر، فشرب معهم حياءً، ليس حييًا.

ومن منعه الحياءُ مِن طلبِ العلم ممن دونه ليس حييًا.

والمرأة التي يُهاجمها فاجرٌ، يريد أن يُكرهها على الزنا، فتمتنع عن الاستغاثة بمن ينقذها منه، خشية أن يعلم الناس أن فاجرًا تعرض لها، فتمكنه من نفسها، ليست حيية. وهكذا.

ومما يشير إلى هذه المعاني الأحاديث التالية:

أ- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ غُسْلٌ إِذَا احْتَلَمَتْ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ» فَضَحِكَتْ أُمُّ سَلَمَةَ، فَقَالَتْ أَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَبِمَ شَبَهُ الْوَلَدِ؟»(1).

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب التبسم والضحك ٨/ ٢٤ رقم ٦٠٩١، ومسلم في صحيحه كتاب الحيض - باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها ١/ ١٧٢ رقم ٣١٣.

ب- وَعَنْ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَلَا يَتَحَاتُّ»، فَقَالَ الْقَوْمُ: هِيَ شَجَرَةُ كَذَا هِيَ شَجَرَةُ كَذَا، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ، فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ».

فَحَدَّثْتُ بِهِ عُمَرَ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتَ قُلْتَهَا لَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا(١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب ما لا يستحيا من الحق للتفقه في الدين ٨/ ٢٩ رقم ٦١٢٢، ومسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب مثل المؤمن مثل النخلة ٨/ ١٣٧ رقم ٢٨١١.

الفصل الثالث

درس الصدق

- معنى الصدق.
- الصدق في القرآن الكريم.
- صدقه عليه الصلاة والسلام.
- الترغيب في الصدق.
- الصدق وتربية الأطفال.
- الصدق والمزاح.
- الصدق والمدح.
- أنواع الصدق المحمود.
- أنواع الصدق المذموم.
- الكذب السائغ.

درس الصدق

معنى الصدق:

الصدقُ: إخبارُ الإنسانِ بما يعتقد أنه الحقُّ، ويشملُ الإخبارُ كُلَّ ما يُفْهِمُ المقصودَ سواء كان بالكلام أو بالعمل، كالكتابة والإشارة.

وعكسُ الصدقِ الكذبُ، وهو إخبارُ الإنسانِ بما يعتقد أنه غير الحق، ويشمل الإخبارُ الصمتَ الذي يُغيِّرُ الحقيقةَ، أو يُخفيها، ويشملُ حذفَ بعضِ الحقيقة، إذا كان لِمَا حَذَفَ تأثيرٌ فيما ذُكِرَ، فكُلٌّ من الصمتِ والحذفِ يُعتبر كذبًا.

وقد اعتبر القرآن الكريم قول المنافقين لرسول الله: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ كذبًا فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]. وذلك لأنه إخبار بما لا يعتقدون صدقه.

قال صاحب البصائر: «والصدق: مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معًا. ومتى انخرَمَ شرطٌ من ذلك لا يكون صدقًا تامًا، بل إما ألا يوصف بالصدق، وإما أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب، على نظرين مختلفين، كقول الكافر من غير اعتقاد: محمد رسول الله، فإن هذا يصح: أن يقال: صدق لكون المخبر عنه كذلك، ويصح أن يقال: كذب لمخالفة قوله

ضميره. وبالوجه الثاني إكذاب الله تعالى المنافقين حيث قالوا: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[1].

هذا ما قاله صاحب البصائر، وهو كلام له وجاهته: ونحن نسير في هذا البحث على التعريف الذي سبق أن ذكرناه، وهو يتفق مع تعريفه الذي وصفه بأنه تعريف للصدق التام، وهو ما نعتقد صحته.

الصدق في القرآن الكريم:

وردت مادة «الصدق» في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ حوالى ١٣٠ مرة.

فقد أمر الله به المؤمنين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[التوبة:١١٩].

وأخبر أنه سيسألهم عنه فقال: ﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡ﴾

[الأحزاب:٨].

وأنه سيجازيهم عليه فقال: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾

[الأحزاب:٢٤].

وذكر وصف الصدق ضمن صفات الذين أعد لهم المغفرة والأجر العظيم فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٣/ ٣٩٧.



وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٣٥].

وتحدث عن يوم القيامة فقال: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[المائدة:١١٩].

ووصف أنبياءه عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بالصدق فقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾[مريم:٤١]، وقال: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾[مريم:٤٩-٥٠].

وقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾

[مريم:٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[مريم:٥٦].

وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٢].

ويكفي «الصدق» عظمة أن الله جل في علاه وصف به نفسه المقدسة فقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[النساء:٨٧]. وقال: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا



﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾[النساء:١٢٢]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[الأنعام:١٤٦].

أما مادة «الكذب» فقد وردت في القرآن ٢٨٢ مرة يتبين من خلالها أن الكذب إثم مبين. قال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾[النساء:٥٠].

وأنه من علامات النفاق. قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[المنافقون:١].

وأن الله لا يهدي الكاذب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر:٣] وأنه لا يفلح. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾[يونس:٦٩].

والكذب لا يجتمع مع الإيمان: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١٠٥].

وجزاء الكذابين النار والعذاب: ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖ﴾ [طه:٦١]، ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [يونس:٦٠]، ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌ﴾ [الزمر:٦٠].

صدقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

أ- لم تجد السيدة خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ما يطمئن الرسول، ويذهب خوفه عقب لقاء جبريل أول مرة إلا اتصافه بالفضائل التي من أهمها الصدق. فقالت له: «كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»(١).

ب- وأجمعت قريش على صدقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:٢١٤] صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ، لِبُطُونِ قُرَيْشٍ، حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ، قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا، فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾[المسد:١-٢](٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بدء الوحي - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ١/ ٧ رقم ٣، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان - باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١/ ٩٧ رقم ١٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن - سورة الشعراء - باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ ألن جانبك ٦/ ١١١ رقم ٤٧٧٠، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان - باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ ١/ ١٣٤ رقم ٢٠٨.

ج- قال أبو جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّا لا نُكَذِّبُكَ، وَلَكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣][1].

د- وفي اللقاء بين ملك الروم «هرقل» وبعض تجار قريش بالشام، وعندما قال هرقل: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبًا. فقال: ادنوه مني، وقربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا الرجل: فإن كذبني فكذبوه.

ثم سأل هرقل أبا سفيان عدة أسئلة، ثم علق على إجابة أبي سفيان، وكان مما جاء في كلامه، «وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ!!»[2].

هـ- التقى الأَخْنَسَ بْنَ شريق بِأَبِي جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْحَكَمِ

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب ومن سورة الأنعام ٥/ ١٥٠ رقم ٣٠٦٤، والحاكم في مستدركه كتاب التفسير - تفسير سورة الأنعام - سورة الأنعام شيعها من الملائكة ما سد الأفق ٢/ ٣١٥ رقم ٣٢٤٩. وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه بدء الوحي - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ١/ ٨ رقم ٧، ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير - باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ٥/ ١٦٣ رقم ١٧٧٣.

لَيْسَ هُنَا غَيْرِي وَغَيْرُكَ يَسْمَعُ كَلامَنَا، تُخْبِرُنِي عَنْ مُحَمَّدٍ صَادِقٌ هُوَ أَمْ كَاذِبٌ؟ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَصَادِقٌ وَمَا كَذَبَ مُحَمَّدٌ قَطُّ[1]!!

و- وعملت قريش على ترويج بعض الإشاعات ضد النبي ﷺ لِتَصُدَّ القبائلَ عن الدخول في الإسلام، فقالوا: إن محمدًا ساحرٌ، وقالوا تارة: إنه كاهنٌ، وأخرى إنه شاعرٌ، ورابعة إنه مجنونٌ، فتصدَّى لهم رجلٌ من أعتى أعداء الدعوة، وهو النضر بن الحارث!

فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ وَاللهِ لَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ مَا ابْتُلِيتُمْ بِمِثْلِهِ، لَقَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غُلَامًا حَدَثًا أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدْغَيْهِ الشَّيْبَ، وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ قُلْتُمْ: سَاحِرٌ. لَا وَاللهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ، قَدْ رَأَيْنَا السَّحَرَةَ وَنَفْثَهُمْ وَعَقْدَهُمْ، وَقُلْتُمْ: كَاهِنٌ لَا وَاللهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ قَدْ رَأَيْنَا الْكَهَنَةَ وَحَالَهُمْ، وَسَمِعْنَا سَجْعَهُمْ. وَقُلْتُمْ: شَاعِرٌ. لَا وَاللهِ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ: لَقَدْ رَأَيْنَا الشِّعْرَ وَسَمِعْنَا أَصْنَافَهُ كُلَّهَا هَزَجَهُ، وَرَجَزِهِ وَقَرِيضَهُ، وَقُلْتُمْ: مَجْنُونٌ، وَلَا وَاللهِ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ فَمَا هُوَ بِخَنْقِهِ وَلَا وَسْوَسَتِهِ وَلَا تَخْلِيطِهِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ انْظُرُوا فِي شَأْنِكُمْ، فَإِنَّهُ وَاللهِ لَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ. وَكَانَ النَّضْرُ مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ، وَمِمَّنْ كَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ»[2].

---

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض ١/ ١٠٥.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة بَابُ اعْتِرَافِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْإِعْجَازِ وَأَنَّهُ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ لُغَاتِهِمْ مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ وَأَرْبَابِ اللِّسَانِ ٢/ ٢٠١.

ز- وأعظم مظهر من مظاهر صدقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو تبليغ كل ما أوحي إليه من ربه؛ إذ لو لم يكن صادقًا لكتم بعضه مما فيه عتاب له، مثل قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾[عبس:١] وقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[التوبة:٤٣].

وقوله: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[الأحزاب:٣٧] وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٧].

الترغيب في الصدق:

لقد كان رسول الله ﷺ صادقًا، وحث أتباعه على هذا الخلق العظيم، وإليكم بعض أحاديثه الشريفة:

١. عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[١].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب: قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[التوبة:١١٩] ٨/ ٢٥ رقم ٦٠٩٤، ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب - باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ٨/ ٢٨ رقم ٢٦٠٧.

٢. وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالَا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ بِالْكَذْبَةِ تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

٣. وَعَنْ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ». فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»(٢).

٤. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(٣).

٥. وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «تَحَرَّوُا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، وَاجْتَنِبُوا الْكَذِبَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، فَإِنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب: قول الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[التوبة:١١٩] ٢٥/٨ رقم ٦٠٩٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان، باب: الدعاء قبل السلام ١٦٦/١ رقم ٨٣٢، ومسلم في كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة ٨/ ٧٥ رقم ٥٨٩، والمغرم: الدين.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان - باب علامة المنافق ١/ ١٦ رقم ٣٣، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان - باب بيان خصال المنافق ١/ ٥٦ رقم ٥٩.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق بَابٌ فِي الصِّدْقِ وَمَا جَاءَ فِي فَضْلِهِ وَذَمِّ الْكَذِبِ ١/ ٥١ رقم ١٣٧ مرسلا عن منصور بن المعتمر.

٦. وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَمَلُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «الصِّدْقُ. وَإِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ بَرَّ، وَإِذَا بَرَّ آمَنَ، وَإِذَا آمَنَ دَخَلَ الْجَنَّةَ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَمَلُ النَّارِ؟ قَالَ: «الْكَذِبُ. إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ فَجَرَ، وَإِذَا فَجَرَ كَفَرَ، وَإِذَا كَفَرَ دَخَلَ، يَعْنِي النَّارَ»(١).

٧. وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْكَذِبِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْكِذْبَةِ فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً»(٢).

الصدق وتربية الأطفال:

يهتم الإسلام اهتمامًا بالغًا بتربية النشء على خلق الصدق، وغرس هذه الفضيلة في الطفل مع حداثة سنه، حتى يشب عليها، لأنه إن تربى على الكذب، فلن يعرف للصدق قيمة، ولا للحق مكانة بعد ما يكبر.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟» قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِيهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ١٣٩٨ رقم ٦٧٥١.

(٢) أخرجه الترمذي أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الصدق والكذب ٣/ ٥١٧ رقم ١٩٧٣. وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب: التشديد في الكذب ٤/٤٤٥ رقم ٤٩٩١.

هكذا يجب أن يربى الأطفال على خلق الصدق.

الصدق والمزاح:

الإسلام وإن أباح الترويح عن النفوس والدعابة، وكره السآمة والعبوس، لكنه لا يجيز الكذب وسيلة للضحك والمزاح، وقد كان رسول الله ﷺ بسامًا ضحاكًا، وكان يمازح أصحابه، ويضاحكهم، حتى قال له أصحابه: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»[1].

وفي رواية: «إِنِّي لَأَمْزَحُ، وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»[2].

وقد وجه أصحابه إلى التزام الصدق في المزاح، وحذرهم من الوقوع في الكذب، بسبب المزاح، وهذه بعض أحاديثه:

أ- عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ»[3].

ب- وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في المزاح ٣/ ٥٢٩ رقم ١٩٩٠.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٣٩١ رقم ١٣٤٤٣.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب التشديد في الكذب - ٤/ ٤٥٤ رقم ٤٩٩٠، والترمذي في كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس ٤/ ١٤٧ رقم ٢٣١٥.

الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ»(١).

ج- وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ - يَعْنِي - يَقُولُ: «لَا يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ صَاحِبِهِ لَاعِبًا وَلَا جَادًّا، فَإِذَا أَخَذَ أَحَدُكُمْ عَصَا صَاحِبِهِ فَلْيَرُدَّهَا إِلَيْهِ»(٢).

د- وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»(٣).

هـ- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُكْثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»(٤).

فهذه الأحاديث كلها توجه إلى التزام الصدق في المزاح، وتنهى عن الكذب فيه.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في حسن الخلق ٤/ ٤٠٠ رقم ٤٨٠٠.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بَابُ مَا لَا يَجُوزُ مِنَ اللَّعِبِ وَالْمُزَاحِ ١/ ٩٣ رقم ٢٤١.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب - باب من يأخذ الشيء من مزاح ٤/ ٤٥٨ رقم ٥٠٠٤.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ - باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس ٤/ ١٤٠ رقم ٢٣٠٥، وابن ماجه في سننه أبواب الزهد - باب الحزن والبكاء ٥/ ٢٨٥ رقم ٤١٩٣.

الصدق والمدح:

ولما كان الثناء على الآخرين، والمدح لهم، ربما جر إلى الكذب والنفاق وقول الزور، من هنا كان على المسلم أن يتنبه جيدًا لما يتفوه به، فإن كلماته ستوزن له أو عليه.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: وَيْلَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، مِرَارًا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسَبُ فُلَانًا، وَاللهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا، أَحْسَبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ»[(١)].

ولا يمنع الإسلام المدح بالصفات التي رغب فيها الدين إذا كان الممدوح بالفعل متحليًا بها، ويكون الهدف عندئذ هو تشجيعه على التمسك بها، ودفع غيره على التأسي به، فيعم الخير وتشيع الفضيلة.

أنواع الصدق:

الصدق نوعان: صدق محمود، وصدق مذموم، والصدق المحمود يكون في النية، وفي الحديث، وفي العمل، والصدق المذموم يكون في الغيبة، وفي النميمة، وإليك التفصيل:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلًا كفاه ١٧٦/٣ رقم ٢٦٦٢.



الصدق المحمود:

١- الصدق في النية: وهذا أدق أنواع الصدق الذي ربى الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الصحابة عليه، وبين لهم أن جزاءه عظيم:

فقد روى مسلم أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»[1]، وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو الطَّاهِرِ فِي حَدِيثِهِ بِصِدْقٍ.

ولما صدق «أنس بن النضر» في نيته عندما قال بعد غزوة بدر: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، أما والله، لأن أراني الله مشهدًا مع رسول الله ﷺ فيما بعد ليرين الله ما أصنع. وقاتل في «أحد» حتى قتل، نزل قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾

[الأحزاب:٢٣][2].

ومن الأحاديث التي توضح معنى الصدق في النية: قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أول من يسْأَل يَوْم الْقِيَامَة ثَلَاثَة: رجل آتَاهُ الله الْعلم فَيَقُول الله تَعَالَى مَا صنعت فِيمَا علمت فَيَقُول: يَا رب كنت أقوم آنَاء اللَّيْل وأطراف النَّهَار، فَيَقُول الله تَعَالَى كذبت وَتقول الْمَلَائِكَة كذبت بل أردْت أَن يُقَال فلَان عَالم أَلا قيل ذَلِك.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة - باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى ٦/٤٨ رقم ١٩٠٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ص٥٢٤٠.

وَرجل آتَاهُ الله مَالا فيَقُول الله تَعَالَى لقد أَنْعَمت عَلَيْك فَمَاذَا صنعت فيَقُول: يَا رب كنت أَتصدق بِهِ آنَاء اللَّيْل وأطراف النَّهَار، فيَقُول الله تَعَالَى كذبت وَتقول الْمَلَائِكَة كذبت بل أردْت أَن يُقَال فلَان جواد أَلا فقد قيل ذَلِك.

وَرجل قتل فِي سَبِيل الله تَعَالَى فيَقُول الله تَعَالَى مَاذَا صنعت فيَقُول، يَا رب أمرت بِالْجِهَادِ فقاتلت حَتَّى قتلت، فيَقُول الله كذبت وَتقول الْمَلَائِكَة كذبت بل أردْت أَن يُقَال فلَان شُجَاع أَلا فقد قيل ذَلِك، قَالَ أَبُو هُرَيْرَة، ثمَّ خبط رَسُول الله ﷺ فَخذي وَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَة أُولَئِكَ أول خلق تسعر نَار جَهَنَّم بهم يَوْم الْقِيَامَة»(١).

فهذا التكذيب لهؤلاء الثلاثة إنما هو في النية.

٢- **الصدق في الحديث:** فالمسلم يحفظ لسانه عن الكذب، وقول الزور، وشهادة الزور، وعن كل ما يخالف الحقيقة:

أ- فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، ثَلَاثًا»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الرياء والسمعة ٤/ ١٨٩ رقم ٢٣٨٢، بلفظ مقارب.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور ٣/ ١٧٢ رقم ٢٦٥٤، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان - باب بيان الكبائر وأكبرها ١/ ٦٤ رقم ٨٧.

ب- وَعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ». قَالَ عَبْدُ اللهِ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧٧] الآية[١].

ج- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِطَرِيقٍ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ، وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ سَاوَمَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ بِاللهِ لَقَدْ أَعْطَى بِهِ كَذَا وَكَذَا، فَأَخَذَهَا»[٢].

د- وعنه النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»[٣].

هـ- عَنْ أَسْمَاءَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢] ٩/ ١٣٢ رقم ٧٤٤٥، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان - باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار ١/ ٨٦ رقم ١٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الشهادات، باب اليمين بعد العصر ٣/ ١٧٨ رقم ٢٦٧٢، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان - باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف ١/ ٧٢ رقم ١٠٨.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب، باب قول الله تعالى ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج:٣٠] ٨/ ١٧ رقم ٦٠٥٧.

ضَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»(١).

و- وعن أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ قَالَتْ إِحْدَانَا لِشَيْءٍ تَشْتَهِيهِ: لَا أَشْتَهِيهِ يُعَدُّ ذَلِكَ كَذِبًا؟ قَالَ: «إِنَّ الْكَذِبَ يُكْتَبُ كَذِبًا، حَتَّى تُكْتَبَ الْكُذَيْبَةُ كُذَيْبَةً»(٢).

ز- وعن أنس عن النبي ﷺ: «يُعَذَّبُ اللِّسَانُ بِعَذَابٍ لَا يُعَذَّبُ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْجَوَارِحِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ عَذَّبْتَنِي بِعَذَابٍ لَمْ تُعَذِّبْ بِهِ شَيْئًا مِنَ الْجَوَارِحِ، فَيُقَالُ لَهُ: خَرَجَتْ مِنْكَ كَلِمَةٌ بَلَغَتْ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَسُفِكَ بِهَا الدَّمُ الْحَرَامُ، وَأُخِذَ بِهَا الْمَالُ الْحَرَامُ، وَانْتُهِكَ بِهَا الْفَرْجُ الْحَرَامُ، فَوَعِزَّتِي لَأُعَذِّبَنَّكَ بِعَذَابٍ لَا أُعَذِّبُ بِهِ شَيْئًا مِنَ الْجَوَارِحِ»(٣).

٣- الصدق في العمل: وهذا يقتضي أن تكون أعمال المسلم مصدقة لما في قلبه، فلا يغش، ولا يخدع، ولا يغرر بأحد، بل تصدق أعماله كما تصدق أقواله: قالوا في معنى قوله تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح - باب المتشبع بما لم ينل وما ينهى من افتخار الضرة ٧/ ٣٥ رقم ٥٢١٩، ومسلم في صحيحه كتاب اللباس والزينة - باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره ٦/ ١٦٨ رقم ٢١٢٩، ومعنى تشبعت من زوجي أي: أنها تدعي أن لها حظوة عند زوجها، وتنال منه مالًا تناله ضرتها لتغيظها، ومعنى لابس ثوبي زور أي: الذي يلبس ثياب الزهاد، أو أصحاب الجاه، وهو ليس كذلك.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٢/ ٦٦٩٦ رقم ٢٨١١٦.

(٣) ذكره السيوطي في جمع الجوامع ١٣/ ٢٢٩ رقم ١٤٠٣، وقال: أبو نعيم عن أبان عن أنس.

[الأحزاب:٨] أي: يسأل من صدق بلسانه عن صدق فعله. وفي قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣] أي: حققوا العهد بما أظهروه من أفعالهم.

وقد أطلق الله الصدق على الإيمان، وإيتاء المال، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر في البأساء والضراء وحين البأس، وبعض هذه أعمال بالجوارح كما ترى، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[البقرة:١٧٧].

وكذلك قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾

[الحجرات:١٥].

الصدق المذموم:

١ - الغيبة:

بين الرسول معناها فيما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ

إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»(١).

قال الحسن: ذكر الغير ثلاثة: الغيبة، والبهتان، والإفك، وكل في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، **فالغيبة**: أن تقول ما فيه، **والبهتان**: أن تقول ما ليس فيه، **والإفك**: أن تقول ما بلغك.

ولا تقتصر الغيبة على الذكر باللسان، بل تشمل كل ما يفهم المقصود من إشارة، أو إيماء، أو غمز، أو همز، أو كتابة، قالت عائشة أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ قَصِيرَةٌ، وَأَنَا جَالِسَةٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَشَرْتُ بِإِبْهَامِي أَنَّهَا قَصِيرَةٌ مِثْلُ الْإِبْهَامِ، فَقَالَ: «لَقَدِ اغْتَبْتِهَا»(٢) فاعتبر النبي الإشارة باليد غيبة.

وكذلك تحرم غيبة القلب، فسوء الظن حرام، مثل سوء القول، فليس لك أن تحدث نفسك، وتسيء الظن بأخيك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأدب، باب تحريم الغيبة ٨/ ٢١ رقم ٢٥٨٩.

(٢) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق بَابُ مَا جَاءَ فِي الْغِيبَةِ مِنَ الْكَرَاهَةِ ١/ ١٠٢ رقم ١٩٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب - باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ٨/ ١٩ =

وإذا لم يترتب على الظن مفسدة شرعية جاز الظن، فقد روى البخاري في باب ما يجوز من الظن حديث عائشة، دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، مَا أَظُنُّ فُلَانًا وَفُلَانًا يَعْرِفَانِ دِينَنَا الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ»(١).

وقد حرم الله الغيبة. قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢].

ومن الأحاديث النبوية التي وردت في التنفير من الغيبة:

١- عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»(٢).

٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ مَالُهُ وَعِرْضُهُ وَدَمُهُ، حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»(٣).

٣- وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، فَمَنِ اغْتَابَ أَخَاه الْمُسْلِمَ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِسَانُهُ مَعْقُودٌ إِلَى قفاه، لا يَحُلُّهُ إِلا عَفْوُ الله عَزَّوَجَلَّ أَوْ عَفْوُ مَنِ اغْتَابهُ»(٤).

=رقم ٦٠٦٤، ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها ٨/ ١٠ رقم ٢٥٦٣.

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب ما يجوز من الظن ١٩/٨ رقم ٦٠٦٨.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه الأدب، باب في الغيبة ٤٢١/٤ رقم ٤٨٨٠.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب - باب في الغيبة ٤/ ٤٢٢ رقم ٤٨٨٢.

(٤) ذكره السيوطي في جمع الجوامع ١١/ ٢٦٧ رقم ٧٢٤، وقال: الديلمي عن سعد الساعدى.



٤- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»(١).

٥- وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَارْتَفَعَتْ رِيحُ جِيفَةٍ مُنْتِنَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ»(٢).

وعلى المسلم أن يعلم أن الغيبة تعرضه لسخط الله، وغضبه، وتحبط حسناته، فعليه أن يندم ويتوب، ويتأسف على ما أقدم عليه، ويطلب عفو من اغتابه، فقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»(٣).

وعلى المغتاب أن يستغفر لمن اغتابه، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كَفَّارَةُ مَنِ اغْتَبْتَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه الأدب، باب في الغيبة – ٤/ ٤٢٠ رقم ٤٨٧٨.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ١٥٠١٢ رقم ١٥٠١٢.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم – باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها ٣/ ١٢٩ رقم ٢٤٤٩، من حديث أبي هريرة
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمن وآداب اللسان ١/ ١٧١، من حديث أنس بن مالك.

وهناك حالات تجوز فيها الغيبة، يعرض لها الإمام الغزالي، ونوجزها فيما يلي:

١- التظلم: قال ﷺ: «إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا»[١]. وقال عليه السلام: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»[٢]. وقال ﷺ: «لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عُقُوبَتَهُ وَعِرْضَهُ»[٣].

٢- الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى منهج الصلاح، روي أن عمر رضي الله عنه مر على عثمان، وقيل على طلحة رضي الله عنه، فسلم عليه، فلم يرد السلام، فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه، فذكر له ذلك، فجاء أبو بكر إليه، ليصلح ذلك، ولم يكن ذلك غيبة عندهم.

٣- الاستفتاء: لما روى عن هند بنت عتبة، أنها قالت للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي، أفآخذ من غير علمه؟ فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» فذكرت الشح، والظلم لها ولولدها، ولم يزجرها ﷺ إذ كان قصدها الاستفتاء.

٤- تحذير المسلم من الشر، وكذلك المستشار في التزويج. وإيداع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الهبة وفضلها - باب من أهدي له هدية وعنده جلساؤه فهو أحق ٣/ ١٦٢ رقم ٢٦٠٩، ومسلم في صحيحه كتاب البيوع - باب من استسلف شيئا فقضى خيرا منه وخيركم أحسنكم قضاء ٥/ ٥٤ رقم ١٦٠١، من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحولات - باب في الحوالة وهل يرجع في الحوالة ٣/ ٩٤رقم ٢٢٨٧، ومسلم في صحيحه كتاب البيوع - باب تحريم مطل الغني وصحة الحوالة ٥/ ٣٤ رقم ١٥٦٤، من حديث أبي هريرة.

(٣) ذكره البخاري في صحيحه معلقًا كتاب في الاستقراض - باب لصاحب الحق مقال ٣/ ١١٨ رقم ٢٤٠١.

الأمانة: إذ قال رسول الله ﷺ: «أَتَرْعُونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ اذْكُرُوهُ بِمَا فِيهِ كَيْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ، وَيَحْذَرَهُ النَّاسُ»(١) وكانوا يقولون: ثلاثة لا غيبة لهم: الجائر، والمبتدع، والمجاهر بفسقه.

٥- أن يكون معروفًا بلقب يعرب عن غيبة، كالأعرج والأعمش.

٦- أن يكون مجاهرًا بالفسق.

٢- النميمة:

وهي النوع الثاني من أنواع الصدق المذموم. وقد عرفها الغزالي بأنها: «كَشْفُ مَا يُكْرَهُ كَشْفُهُ سَوَاءٌ كَرِهَهُ الْمَنْقُولُ عَنْهُ أَوِ الْمَنْقُولُ إِلَيْهِ أَوْ كَرِهَهُ ثَالِثٌ وسواء كان الكشف بالقول أو بِالْكِتَابَةِ أَوْ بِالرَّمْزِ أَوْ بِالْإِيمَاءِ وَسَوَاءٌ كَانَ الْمَنْقُولُ مِنَ الْأَعْمَالِ أَوْ مِنَ الْأَقْوَالِ وَسَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ عَيْبًا وَنَقْصًا فِي الْمَنْقُولِ عَنْهُ أَوْ لَمْ يَكُنْ بَلْ حَقِيقَةُ النَّمِيمَةِ إِفْشَاءُ السِّرِّ وَهَتْكُ السِّتْرِ»(٢).

وقد ذم الإسلام النَّمِيمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾[القلم:١٠-١١]، وقال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة:١] قيل: الهُمَزَةُ: النَّمَّامُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ:

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الشهادات - جماع أبواب من تجوز شهادته ومن لا تجوز - باب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث فيقول كفوا عن حديثه لأنه يغلط أو يحدث بما لم يسمع أو أنه لا يبصر الفتيا ١٠/ ٢١٠ رقم ٢٠٩٧٥، وقال: حَدِيثٌ يُعْرَفُ بِالْجَارُودِ بْنِ يَزِيدَ النَّيْسَابُورِيِّ، وَأَنْكَرَهُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ١٥٦.

«إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا هَذَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ فَغَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا، ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»(١).

وعن حذيفة أنه بلغه أن رجلًا ينم الحديث، فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ»(٢).

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ، أَفَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ الْبُرَآءَ الْعَنَتَ»(٣).

وعن عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ مِنِّي ذُو حَسَدٍ، وَلَا نَمِيمَةٍ، وَلَا كِهَانَةٍ، وَلَا أَنَا مِنْهُ». ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨](٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب - باب الغيبة وقول الله تعالى ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ ٨/ ١٦ رقم ٦٠٥٢، ومسلم في صحيحه كتاب الطهارة - باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ١/ ١٦٦ رقم ٢٩٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان - باب بيان غلظ تحريم النميمة ١/ ٧٠ رقم ١٠٥.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب النمام ١/ ١١٩ رقم ٣٢٣.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢١/ ٣٣٤.



ويحدد الإمام الغزالي ما يجب أن يفعله من جاءه نمام فيما يأتي:

١. أن لا يصدقه، لأنَّ النَّمامَ فاسقٌ، وهو مردودُ الشهادة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الحجرات:٦].

٢. أن ينهاه عن ذلك، وينصح له، ويقبح عليه فعله. قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [لقمان:١٧].

٣. أن يبغضه في الله تعالى، فإنه بغيض عند الله تعالى؛ ويجب بغض من يبغضه الله تعالى.

٤. أن لا يظن بأخيه الغائب السوء؛ لقوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢].

٥. أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾.

٦. أن لا ترضى نفسه ما نهى النمام عنه، وأن لا يحكي النميمة، فيكون نمامًا ومغتابًا[(١)].

من نتائج الصدق:

وللصدق فوائد عظيمة، ونتائج جليلة، لكننا نكتفي بما يأتي:

١ - البركة التي تعم حياة المسلم، ويشير إليها ما رواه حَكِيم بْن حِزَامٍ

---

(١) الإحياء ص١٦٢١ بتصرف.



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا»، أَوْ قَالَ: «حَتَّى يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»[(١)].

٢- الهدوء النفسي، والطمأنينة القلبية: يشير إليها ما رواه الحسن ابن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ»[(٢)].

٣- تفريج الهم، والنجاة من الكرب، كما في قصة «كعب بن مالك» أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة «تبوك» مع الرسول بدون عذر، فقد عاقبهم الرسول بنهي المسلمين عن كلامهم خمسين يومًا، وقد شق ذلك عليهم، واستغل أعداء الإسلام هذه الفرصة، فاتصل ملك غسان بكعب ابن مالك، يعرض عليه أن يلجأ إليه، فيواسيه، ويترك الإسلام، فرفض مالك، وشدد الرسول العقاب بعد أن مر أربعون يومًا من الخمسين، فأمرهم باعتزال نسائهم.

ولما تاب الله عليهم ذهب كعب إلى النبي وقال له: يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت، قال

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع - باب ما يمحق الكذب والكتمان في البيع ٣/ ٥٩ رقم ٢٠٨٢، ومسلم في صحيحه كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان ٥/ ١٠ رقم ١٥٣٢.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ - باب ٤/ ٢٨٦ رقم ٢٥١٨، وقال حسن صحيح.

فوالله ما علمت أن أحدًا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث، منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقى.

والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط، بعد إذ هداني الله للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا[1]، فصدق سيدنا كعب كان سببًا في نجاته من الهلاك.

٤ - الفوز بمنازل الشهداء: فقد روى سَهْل بْنِ حُنَيْفٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»[2].

الكذب السائغ:

الكذب وإن كان حرامًا إلا أنه يجوز في بعض الحالات التي يترتب على الصدق فيها مفاسد شرعية، **وهذه الحالات حددها الإسلام وهي:**

١ - في الإصلاح بين المتخاصمين: قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا»[3].

---

(١) انظر: تفاصيل القصة في صحيح مسلم، كتاب التوبة ٤/ ٢١٢٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة - باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى ٦/ ٤٨ رقم ١٩٠٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس - =

٢- **فيما يكون بين الزوجين**: فقد يذكر أحدهما للآخر أنه يحبه ويهواه، وما شابه ذلك. فقد قال رجل للنبي ﷺ: أَأَكْذِبُ امْرَأَتِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا خَيْرَ فِي الْكَذِبِ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعِدُهَا وَأَقُولُ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا جُنَاحَ عَلَيْكَ»(١).

٣- **وفي الحرب لنصرة الدين**، بل قد يجب الكذب، روت أم كلثوم عن رسول الله ﷺ: «وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ الْحَرْبُ وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا»(٢).

وقد شرع الإسلام التورية والكناية والتعريض، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ»(٣).

ومن التورية الحديث التالي: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ؛ ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ قَوْلُهُ ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ وَقَوْلُهُ ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا

=٣/ ١٨٣ رقم ٢٦٩٢، ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الكذب وبيان المباح منه ٨/ ٢٨ رقم ٢٦٠٥، من حديث أم كلثوم بنت عقبة.

(١) أخرجه مالك في الموطأ الكلام - ما جاء في الصدق والكذب ١/ ١٤٤٠ رقم ٣٦٢٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الكذب وبيان المباح منه ٨/ ٢٨ رقم ٢٦٠٥.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة كتاب الأدب - من كره المعاريض ومن كان يحب ذلك ١٣/ ٣٢٥ رقم ٢٦٦٢٠.

الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ. فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ، أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ ! فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضُرُّكِ ! فَفَعَلَتْ، فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَفَعَلَتْ، فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكِ اللهَ أَنْ لَا أَضُرَّكِ ! فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ! فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجَرَ. قَالَ: فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي، فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ؟ قَالَتْ: خَيْرًا، كَفَّ اللهُ يَدَ الْفَاجِرِ وَأَخْدَمَ خَادِمًا»[(١)].

فهذه الكذبات الثلاثة المذكورة، إنما هي بالنسبة لفهم المخاطب والسامع، ولذلك سماها كذبًا، وهي من باب التورية الجائزة شرعًا. والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل - باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ ٧/ ٩٨ رقم ٢٣٧١، ومعنى «فلك الله» أي: شاهد وضامن أن لا أضرك، و «مهيم» أي: ما شأنك وما خبرك؟

الفصل الرابع

درس الأمانة

- معنى الأمانة.
- الأمانة في القرآن الكريم.
- أمانته عليه الصلاة والسلام.
- من صور الأمانة.

درس الأمانة

معنى الأمانة:

الأمانة كل ما يجب على المسلم أن يحفظه، ويصونه، ويؤديه، إنها شعوره بمسئوليته عن كل ما يوكل إليه، وبذله الجهد في تأديته على النحو الذي يرضاه الله جل في علاه، ولعل هذا بعض ما يفهم من حديث رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(١).

فالإسلام جعل من الأمانة معنى واسعًا، هو ما يشير إليه هذا الحديث الشريف.

الأمانة في القرآن الكريم:

تكرر ذكر الأمانة في القرآن الكريم، ومن الآيات التي ورد فيها ذكرها:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب في الاستقراض - باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه ٣/ ١٢٠ رقم ٢٤٠٩، ومسلم في صحيحه- كتاب الإمارة - باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر٦/ ٧ رقم ١٨٢٩.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾[البقرة:٢٨٣] والآية في الرهن، فالشيء المرهون أمانة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران:٧٥] والآية تحذر المسلمين من أن يأمنوا أهل الكتاب خاصة اليهود.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] والآية نزلت لما أخذ عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مفتاح الكعبة من «عثمان بن طلحة» سادنها قسرًا، لما قدم النبي مكة عام الفتح، فأمره الرسول ﷺ برده إليه.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الأنفال:٢٧]، وهذه الآية شاملة لجميع أنواع الأمانات.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب: ٧٢] والأمانة هنا التكاليف الشرعية.

وعدَّ الله الأمانة من صفات المؤمنين في سورة «المؤمنون» وفي سورة «المعارج» فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المعارج:٣٢].

ووصف جبريل بالأمين، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء:١٩٣]، وقال: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:٢١]، ومكة البلد الحرام، ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾[التين:١-٣]، والعفريت الذي أبدى استعداده للإتيان بعرش «بلقيس» قال: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾[النمل:٣٩].

وقد وصف القرآن الأنبياء بالأمانة، وقال كل نبي لقومه ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ وقال الملك ليوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف:٥٤] وقالت إحدى المرأتين عن موسى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦].

وعكس الأمانة الخيانة، وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم حوالي ١٦ مرة، منها قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٧]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[الأنفال:٥٨]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج:٣٨].

أمانته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

لقد اشتهر رسول الله ﷺ بالأمانة، حتى عرف بالأمين، يقول ابن اسحاق: «إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها - أي الكعبة - كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنيان - موضع الركن - الحجر الأسود - فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون

الأخرى، حتى تحاوروا وتخالفوا وأعدوا للقتال. فمكثت قريش على هذا أربع ليالي أو خمسًا، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا.

فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم، وكان عامئذ أسن قريش كلها قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا. فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد.

فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر. قال ﷺ: هلم إليَّ ثوبًا، فأتى به، فأخذ الركن، فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعًا، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثم بنى عليه»[1].

وكانت أمانته سببًا في زواجه بالسيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يقول ابن الأثير: «فلما بلغها - أي خديجة - عن رسول الله ﷺ صدق الحديث، وعظيم الأمانة، وكرم الأخلاق، أرسلت إليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره مع غلامها ميسرة فأجابها، وخرج معه ميسرة»[2].

ولما عاد إلى مكة، وقص عليها ميسرة أخبار رسول الله ﷺ قررت الزواج به.

---

(١) سيرة ابن هشام ١: ١٢٧.

(٢) الكامل ٢: ٢٤.



وحرص الرسول على أداء الأمانة في أصعب الأوقات، وأحلك الساعات، فعند خروجه من بيته مهاجرًا إلى المدينة، قال لعليّ بن أبي طالب: نم على فراشي، واتشح ببردي الأخضر، فنم فيه، فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه، وأمره أن يؤدي ما عنده من وديعة وأمانة، وغير ذلك»[(١)].

وقد أدى رسول الله ﷺ الأمانة الكبرى، وهي الرسالة أعظم ما يكون الأداء، وتحمل في سبيلها أشق ما يحتمله بشر.

وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يكره الخيانة حتى إنه كان يستعيذ بالله منها.

فعن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُـمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ»[(٢)].

الترغيب في الأمانة:

كان رسول الله ﷺ أمينًا، وحث أتباعه على هذا الخلق العظيم، فقال لهم: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا طُهُورَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ، إِنَّمَا مَوْضِعُ الصَّلَاةِ مِنَ الدِّينِ كَمَوْضِعِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ»[(٣)].

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»[(٤)].

---

(١) الكامل ٢: ٧٢، وسيرة ابن هشام ١/ ١٢٧.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة ١/ ٥٦٧ رقم ١٥٤٧.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١/ ١١٣ رقم١٦٢، من حديث ابن عمر.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١٠/ ٥٣٧٦ رقم ٢٣٢٠٠.

وأخبرهم بأن الأمانة أول ما يضيع من أمور الدين، فقال: «أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ»(١).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمِائَةِ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً»(٢).

وعن حذيفة قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين: رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة.

وحدثنا عن رفعها قال: ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه. فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجل، كجمر دحرجته على رجلك فنفط، فتراه منتبرًا، وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: «إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»(٣).

---

(١) أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٤/ ٤١٠ رقم ١٥٨٣، من حديث أنس بن مالك.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة ٨/ ١٠٤ رقم ٦٤٩٨، ومسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب قوله ﷺ: «الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة» ٧/ ١٩٢ رقم ٢٥٤٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الرقاق - باب رفع الأمانة ٨/ ١٠٤ رقم ٦٤٩٧، ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب ١/ ٨٨ رقم ١٤٣، من حديث حذيفة، الجذر: أصل الشيء، الوكت: أثر النار، المجل: أثر العمل في الكف، فنفط: صار منتفطًا، وهو المنتبر: يقال انتبر الجرح وانتفط: إذا ورم وامتلأ ماء.

وكما حببهم في الأمانة حذرهم من الغدر، لأنه خيانة، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْغَادِرَ يُرْفَعُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَيُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ»(١).

وحذرهم أيضًا من الرشوة. لأن بها يأخذ الحق غير مستحقه، أو يمنع عن صاحبه، عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ، يَعْنِي الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ، يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»(٣).

من صور الأمانة:

١ - **الودائع**: وهي أشهر أنواع الأمانة حتى إن العامة لا تفهم من الأمانة إلا الوديعة وقد حرص عليها الإسلام، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ»(٤).

---

(١) أخرجه النسائي السنن الكبرى- كتاب السير - الغدر٨/ ٧٦ رقم ٨٦٨٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٠/ ٥٢٧٠ رقم ٢٢٨٣٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان، باب قول النبي من غشنا فليس منا ١/ ٦٩ رقم ١٠٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب في الاستقراض - باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها ٣/ ١٥٥ رقم ٢٣٨٧.

وَقَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَـةَ إِلَـى مَـنِ ائْتَمَنَـكَ، وَلَا تَخُـنْ مَـنْ خَانَكَ»(١).

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لَنْ تَزَالَ أُمَّتِي عَلَى الْفِطْرَةِ مَا لَـمْ يَتَّخِذُوا الْأَمَانَةَ مَغْنَمًا وَالزَّكَاةَ مَغْرَمًا»(٢).

٢- الوظائف العامة: يعتبر الإسلام الوظائف العامة أمانات، يجب أن لا يعين فيها إلا الجدير بها، وأن لا يختار لها إلا من تؤهله قدراته العلمية والخلقية لشغلها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ. حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ». قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»(٣).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ

---

(١) أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة- ٧/ ٢٨١ رقم ٢٧٣٧ من حديث أنس ابن مالك.

(٢) ذكره المتقى الهندي في كنز العمال ٣/ ٦٢ رقم ٥٥٠٤ من حديث ثوبان.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العلم - باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه ١/ ٢١ رقم ٥٩.

عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»(١).

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَةٍ وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلهِ مِنْهُ، فَقَدْ خَانَ اللهَ وَخَانَ رَسُولَهُ وَخَانَ الْمُؤْمِنِينَ»(٢).

وفي حديث آخر: «مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ»(٣).

وإذا كان اختيار العامل أمانة، فإن أداء العمل نفسه أمانة، وعلى العامل أو الموظف أن لا يستغل منصبه استغلالًا سيئًا، فيجني من ورائه ما لا يحل له فضلًا عن أقاربه وذويه، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ»(٤) أي: حرام.

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا، فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي فَقَالَ لَهُ: «أَفَلَا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لَا»، ثُمَّ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ٦/ ٦ رقم ١٨٢٥.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب الأحكام - الإمارة أمانة وهي يوم القيامة خزي وندامة ٤/ ٩٢ رقم ٧١١٥، عن ابن عباس، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب الأحكام - الإمارة أمانة وهي يوم القيامة خزي وندامة ٤/ ٩٣ رقم ٧١١٦ من حديث أبي بكر الصديق، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الخراج والفيء والإمارة - باب في أرزاق العمال٣/ ٩٤ رقم ٢٩٤٣.

قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلَاةِ فَتَشَهَّدَ، وَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ، فَقَدْ بَلَّغْتُ»[1].

هكذا يهتم الرسول اهتمامًا بالغًا بهذه الواقعة لخطورتها على المجتمع المسلم.

أما إذا أدى العامل عمله بأمانة. فإن له الثواب العظيم، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «الْخَازِنُ الْأَمِينُ، الَّذِي يُؤَدِّي مَا أُمِرَ بِهِ طَيِّبَةً نَفْسُهُ، أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ»[2].

٣- الأسرار: وتشمل ما يدور بين الناس، وما يقال داخل الاجتماعات المختلفة. فالسر أمانة لا يجوز أن يطلع عليه إلا من له حق الاطلاع عليه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ - ٨/ ١٣٠ رقم ٦٦٣٦، ومسلم في صحيحه- كتاب الإمارة - باب تحريم هدايا العمال ٦/ ١١ رقم ١٨٣٢، وتيعر أي: تصيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- الإجازة، باب استئجار الرجل الصالح ٣/ ٨٨ رقم ٢٢٦٠، ومسلم في صحيحه- كتاب الزكاة - باب أجر الخازن الأمين والمرأة إذا تصدقت من بيت زوجها غير مفسدة ٣/ ٩٠ رقم ١٠٢٣، من حديث أبي موسى الأشعري

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَمِعَ مِنْ رَجُلٍ حَدِيثًا لَا يَشْتَهِي أَنْ يُذْكَرَ عَنْهُ فَهُوَ أَمَانَةٌ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَكْتِمْهُ»(١).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ»(٢).

والمجالس تكون أمانات إذا كان ما يدور فيها لا يخالف شرع الله، أما إذا قيل فيها ما لا يتفق ودين الإسلام، فليست لها حرمة، ولا احترام.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةَ مَجَالِسَ: سَفْكُ دَمٍ حَرَامٍ، أَوْ فَرْجٌ حَرَامٌ، أَوِ اقْتِطَاعُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»(٣).

وهذا اللون من الأمانة يشمل ما يدور بين الزوجين من أمور خاصة، فليس لأحدهما إفشاؤها؛ لأنها من أدق أنواع الأمانة التي يجب صيانتها.

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»(٤) فإفشاء هذه الأسرار من أعظم خيانة الأمانة.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٢/ ٦٧٠٦ رقم ٢٨١٥٧.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه الأدب، باب في نقل الحديث ٤/٤١٨ رقم ٤٨٦٨، و والترمذي في جامعه البر، باب ما جاء أن المجالس أمانة ٣/ ٥٠٩ رقم ١٩٥٩ وقال: حديث حسن.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأدب - باب في نقل الحديث ٤/ ٤١٩ رقم ٤٨٦٩.

(٤) أخرجه مسلم في صيحه- النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة ٤/ ٥٧ رقم ١٤٣٧، من حديث أبي سعيد الخدري.



وعن أَسْمَاء بِنْت يَزِيدَ أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ قُعُودٌ عِنْدَهُ. فَقَالَ: «لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا!» فَأَرَمَّ الْقَوْمُ فَقُلْتُ: إِي وَاللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُنَّ لَيَقُلْنَ وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ قَالَ: «فَلَا تَفْعَلُوا فَإِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ شَيْطَانٍ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَغَشِيَهَا»[(١)].

٤ - **المشورة:** فإذا عرض عليك أخ لك موضوعًا، أو مشروعًا، وطلب منك الرأي والنصح، فاعلم أن رأيك أمانة، وأنك إذا أشرت عليه بغير الرأي الصحيح، فإن ذلك خيانة للأمانة.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»[(٢)].

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُشِرْ عَلَيْهِ»[(٣)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنِ اسْتَشَارَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ رُشْدٍ فَقَدْ خَانَهُ، وَمَنْ أُفْتِيَ بِفُتْيَا غَيْرِ ثَبْتٍ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ»[(٤)].

هذه صور من الأمانة في مفهوم الإسلام، نسأل الله أن يجعلنا من الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٢/ ٦٧٣٠ رقم ٢٨٢٣١، «أزم القوم» أي: سكتوا.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه- أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب إن المستشار مؤتمن ٤/ ٥١٢ رقم ٢٨٢٢، وقال: حديث حسن.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه- أبواب الأدب - باب المستشار مؤتمن٤/ ٦٨٢ رقم ٣٧٤٧.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ١٧٣٣ رقم ٨٣٨٢، والثبت: الحجة والبينة.

الفَصْلُ الخَامِسُ

درس العدل

- معنى العدل.
- العدل في القرآن الكريم.
- العدل في السنة المطهرة.
- من مجالات العدل.

درس العدل

معنى العدل:

العدل: إعطاء كل ذي حقٍ حقه من غير تحيز، أو محاباة، أو تفرقة بين المستحقين، أو تدخل لهوى النفس.

وعكسه الجور، والحيف، والظلم. فالجور العدول عن الحق، والحيف الميل في الحكم والجور فيه، والظلم مجاوزة الحد، ومفارقة الحق، ووضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بزيادة، وإما بنقصان، وإما بعدول عن مكانه أو زمانه. وهو وخيم العاقبة.

قال الشاعر:

لا تظلمن إذا ما كنتن مقتدرًا فالظلم آخره يأتيك بالندم

نامت عيونك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقد أمر الإسلام بالعدل، وحارب التفرقة العنصرية، وحدد حقوق الراعي والرعية، وواجبات الحاكم والمحكومين، وأوجب الزكاة، وحبب في صدقة التطوع، وشرع الصيام ليشعر الغني بالفقير، وأوضح حقوق الزوجين والأولاد، وفصل أحكام المواريث، وغير ذلك مما له أثره في تأصيل قواعد العدل في المجتمع المسلم.

ومن أسماء الله الحسنى: «العدل» ومعناه المنزه عن الظلم والجور في أفعاله وأحكامه، الذي يعطي كل ذي حق حقه ويضع كل شيء موضعه.



ومن أسمائه الحسنى أيضًا: «المقسط» ومعناه: العادل في حكمه، الذي ينتصف للمظلوم من ظالمه، وهو ضد «القاسط» أي: الظالم الجائر ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥].

العدل في القرآن الكريم:

وردت مادة «العدل» بالمعنى السابق في القرآن الكريم «١٨» مرة، ووردت مادة «القسط» بمعنى العدل «٢٣» مرة.

فقد أمر الله بالعدل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠]، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[الشورى:١٥]، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾[الأعراف: ٢٩]، وأحكامه كلها عدل» ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[الأنعام: ١١٥]، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء:٤٧].

وقد تكرر قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ في القرآن ثلاث مرات. [المائدة:٤٢]، [الحجرات:٩]، [الممتحنة:٨].

وجاء في الحديث القدسي قوله تعالى: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا»[1] وقوله: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْتَقِمَنَّ مِنَ الظَّالِمِ فِي عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، وَلَأَنْتَقِمَنَّ مِمَّنْ رَأَى مَظْلُومًا فَقَدَرَ أَنْ يَنْصُرَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه- البر والصلة، باب تحريم الظلم ٨/ ١٦ رقم ٢٥٧٧، من حديث أبي ذر.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١/ ١٥ رقم ٣٦، مرسل من حديث علي بن عبد الله ابن عباس.



أما مادة «الظلم» فقد تكررت في القرآن الكريم «٢٨٧» مرة.

فبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾[غافر:٣١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء:٤٠].

وقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق:١] وحذرنا من الظالمين فقال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[هود:١١٣] وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ [الكهف:٥٩] وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[الأنعام:٢١] وقال: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾[النمل:٥٢].

وهدد الظالمين فقال:﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف:٦٥]، ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:١٩]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢]، ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف:٢٩].

أما «الجور» فلم يرد إلا في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾[النحل:٩] أي: مائل عن الحق، منحرف عنه، لا يوصل سالكه إلى بغيته.

وورد ذكر الحيف مرة واحدة في قوله: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[النور: ٥٠].

العدل في السنة المطهرة:

ولقد ظهر في السنة المطهرة اهتمام الرسول البالغ بخلق العدل وذلك في أقواله وأفعاله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. فمن أقواله:

أ- «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»(١).

ب- وَعَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

ج- وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإمارة - باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ٦/ ٧ رقم ١٨٢٧ من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المظالم - باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ٣/ ١٢٨ رقم ٢٤٤٢، ومسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم ٨/ ١٨ رقم ٢٥٨٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم ٨/ ١٨ رقم ٢٥٧٨.

د- وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾[هود:١٠٢]»[1].

هـ- وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»[2].

و- وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنَّهُ سَمِعَ خُصُومَةً بِبَابِ حُجْرَتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ، فَأَحْسِبَ أَنَّهُ صَادِقٌ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ، فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ، فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ لِيَتْرُكْهَا»[3].

ز- وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب تفسير القرآن - سورة هود - باب قوله وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ٦/ ٧٤ رقم ٤٦٨٦، ومسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم ٨/ ١٩ رقم ٢٥٨٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المظالم - باب إثم من ظلم شيئا من الأرض ٣/ ١٣٠ رقم ٢٤٥٢، ومسلم في صحيحه- كتاب البيوع - باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها ٥/ ٥٧ رقم ١٦١٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأحكام - باب من قضي له بحق أخيه فلا يأخذه ٣/ ١٣١ رقم ٧١٨١، ومسلم في صحيحه- كتاب الأقضية - باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة ٥/ ١٢٨ رقم ١٧١٣.

مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»(١).

حـ- وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ»(٢).

ط- وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ رَأَى مَظْلُومًا، فَلَمْ يَنْصُرْهُ»(٣).

ي- وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ نَاصِرًا غَيْرِي»(٤).

ك- وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللهَ اللهَ فِيمَنْ لَيْسَ لَهُ إِلَّا اللهُ»(٥).

ل- وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: «إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ فَلَا تَقُولُ لِلظَّالِمِ: يَا ظَالِمُ، فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ»(٦).

ومن مواقفه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ العادلة:

١- حكى ابن اسحاق: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَدَّلَ صفوفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الإكراه - باب يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل ٩/ ٢٢ رقم ٦٩٥٢.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم - باب الأمر والنهي ٤/ ٢١٤ رقم ٤٣٣٨.

(٣) أخرجه الجرجاني في ترتيب الأمالي الخميسية ٢/ ٢٤٣ رقم٢٢٨٩.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٣٥٢ رقم ٢٢٠٧ من حديث علي بن أبي طالب. وقال: «لَمْ يَرْوِهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ إِلَّا شَرِيكٌ، تَفَرَّدَ بِهِ مِسْعَرُ بْنُ الْحَجَّاجِ».

(٥) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ٣/ ٥٠١ رقم ٧٦٠٩ عن أبي هريرة.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٣٧٢ رقم ٦٦٣٢.

بَدْرٍ، وَفِي يَدِهِ قِدْحٌ يُعَدِّلُ بِهِ الْقَوْمَ، فَمَرَّ بسَواد بْنِ غَزِيَّة، حَلِيفِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، قَالَ ابْنُ هِشَام: يُقَالُ، سَوَّاد، مُثَقَّلَةٌ، وَسَوَادٌ فِي الْأَنْصَارِ غَيْرُ هَذَا، مُخَفَّفٌ وَهُوَ مُسْتَنْتل مِنْ الصَّفِّ، قَالَ ابْنُ هِشَام: وَيُقَالُ مُسْتَنصل مِنْ الصَّفِّ فَطُعِنَ فِي بَطْنِهِ بالقدْح، وَقَالَ: «استوِ يَا سَوَّاد» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْجَعْتَنِي وَقَدْ بَعَثَكَ اللهُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، قَالَ: فأقدْني فَكَشَفَ رسولُ الله ﷺ عَنْ بَطْنِهِ، وَقَالَ: «استقدْ»، قَالَ: فَاعْتَنَقَهُ فقبَّل بَطْنَهُ: فَقَالَ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَواد؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَضَرَ مَا تَرَى، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخرُ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يمسَّ جِلْدِي جلدَك. فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بخير»(١).

فانظر كيف يطبق الرسول قواعد العدل على نفسه!!

٢- وقد مرت قصة المرأة المخزومية التي سرقت، وتشفع لها أسامة ابن زيد، وكيف غضب الرسول، وخطب، وقال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف، أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(٢).

٣- ووقف ﷺ في نهاية حياته، وفي مرض وفاته على المنبر فقال: «فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرَهُ فَهَذَا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ، أَلَا وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضًا فَهَذَا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ، أَلَا لَا يَقُولَنَّ رَجُلٌ إِنِّي أَخْشَى الشَّحْنَاءَ مِنْ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٩٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء - باب حدثنا أبو اليمان ٤/ ١٧٥ رقم ٣٤٧٥، ومعنى «أهمهم» أي: أقلقهم وأحزنهم، وحب رسول الله أي: محبوبه، وضرب المثل بفاطمة بنته لأنها أعز أهله، ولأنها كانت سميه لها، أي: على اسمها.



قِبَلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَلَا وَإِنَّ الشَّحْنَاءَ لَيْسَتْ مِنْ طَبِيعَتِي وَلَا مِنْ شَأْنِي، أَلَا وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ، أَوْ حَلَّلَنِي فَلَقِيتُ اللهَ وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ، أَلَا وَإِنِّي لَا أَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِّي حَتَّى أَقُومَ فِيكُمْ مِرَارًا» ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَعَادَ لِمَقَالَتِهِ فِي الشَّحْنَاءِ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَرُدَّهُ وَلَا يَقُولُ فُضُوحَ الدُّنْيَا، وَإِنَّ فُضُوحَ الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنْ فُضُوحِ الْآخِرَةِ» فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي عِنْدَكَ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ، قَالَ: «أَمَا إِنَّا لَا نُكَذِّبُ قَائِلًا وَلَا نَسْتَحْلِفُهُ، فَبِمَ صَارَتْ لَكَ عِنْدِي؟» قَالَ: تَذْكُرُ يَوْمَ مَرَّ بِكَ مِسْكِينٌ، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَدْفَعَهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «ادْفَعْهَا إِلَيْهِ يَا فَضْلُ»(1)!!

تأمل كيف لقن الرسول أمته هذا الدرس العظيم، وكيف حرص على أن يقابل مولاه عَزَّوَجَلَّ وليس في عنقه حق لأحد من أبناء رعيته، وكيف سارع في دفع الدين بعد أن ظهر للموجودين أنه أخذه بطريق مشروع ولغرض نبيل.

وبهذا حمى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ظهور الناس من أن تجلد، ودماءهم من أن تراق، وأعراضهم من أن تنتهك، وأموالهم من أن تسلب وحقوقهم من أن يعتدى عليها، وبهذا رفع راية العدل، وأقام دعائم الأمن، وقوض أركان الظلم، وحمى الأمة من استبداد المستبدين، وعبث العابثين، وطمع الطامعين، واستهتار المستهترين.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٨٢٨٠ رقم ٧١٨.



وبهذا أبان للأمة أن قواعد العدل تطبق على كل أفرادها، من أكبرهم إلى أصغرهم، فالحق أحق أن يتبع.

من مجالات العدل:

١ - عدل الإنسان مع نفسه: وذلك بعدم فعل ما يعرضها لعذاب الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق:١] وعندما خالف آدم وحواء النهي الإلهي، وذاقا الشجرة ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] وعندما عبدت بلقيس غير الله، ثم ثابت ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[النمل:٤٤].

٢ - العدل في الأسرة: فلكل فرد حقوقه التي يجب أن تصان، وإذا كان الرجل متزوجًا بأكثر من واحدة، وجب العدل بينهن في المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمبيت، وسائر الأمور المادية. فإن لم يستطع العدل بينهن، حرم عليه التزوج بأكثر من واحدة، قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء:٣] أي: أقرب ألا تجوروا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ لِإِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدُ شِقَّيْهِ مَائِلٌ»[1].

(١) أخرجه النسائي في المجتبى - كتاب عشرة النساء - باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض ١/ ٧٧٩ رقم ٣٩٥٢.

ولا يجب العدل في الأمور النفسية، كالمحبة، والمودة، فإن ذلك غير مستطاع.

قال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء:١٢٩].

وينبغي العدل بين الأولاد، فإن التفريق بينهم في العطاء وفي المعاملة يغرس الحقد والحسد والضغائن في النفوس.

عَنْ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ[(١)].

وحدد الله أنصبة المواريث حماية للعدل: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾ [النساء:٧].

٣- العدل مع اليتامى: قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الهبة، باب الإشهاد في الهبة ٣/ ١٥٨ رقم ٢٥٨٧، ومسلم في صحيحه- كتاب الهبات - باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة٥/ ٦٥ رقم ١٦٣٣.



﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[النساء:٣] وقال تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾[النساء:١٢٧] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾[النساء:١٠].

٤- العدل مع أهل الكتاب: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[الشورى:١٤-١٥].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

٥- العدل مع الأعداء: وهذا لون عظيم من ألوان العدل التي أتى بها الإسلام، لا تجد في غيره مثيلًا له. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة:٨] أي: لا يحملن بغضكم وكراهيتكم لقوم أن تتركوا العدل معهم، وتظلموهم بسبب كراهيتكم لهم.

٦- العدل في القول والشهادة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾ [الأنعام:١٥٢]، وقال: تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ



﴿شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٤٠]، وقال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق:٢].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْطَعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»[1].

٧- العدل في المعاملات التجارية والمالية: قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأنعام:١٥٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الشرب والمساقاة - باب الخصومة في البئر والقضاء فيها ٣/ ١١٠ رقم ٢٣٥٦، ومسلم في صحيحه- كتاب الإيمان - باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار ١/ ٨٥ رقم ١٣٨.

٨- **العدل بين المتخاصمين**: قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات:٩].

٩- **العدل في الحكم**: قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[المائدة:٤٢]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾[المائدة:٤٩].

وتأمل هذه القصة التي نزل فيها تسع آيات قرآنية في حق يهودي، لم ينزل مثلها في حق صحابي، عندما كاد رسول الله ﷺ ينخدع بملابساتها التي تثبت الجريمة على غير مرتكبها، وكاد يتورط في حكم جائر استنادًا إلى الظاهر لولا أن حماه الله تعالى.

رُويَ أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعًا من جار له، اسمه قتادة ابن النعمان في جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتشر من خرق فيه، وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود.

فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد، وحلف ما أخذها، وما له بها علم، فتركوه، واتبعوا أثر الدقيق، حتى انتهى إلى منزل اليهودي، فأخذوها، فقال: دفعها إليّ طعمة، وشهد له ناس من اليهود.

فقالت بنو ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا، وافتضح، وبريء اليهودي، فهم رسول الله ﷺ أن يفعل، فنزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[النساء:١٠٥-١١٣][(١)].

---

(١) الرجوع إلى كتب التفسير التي ذكرت القصة.

الفصل السادس

درس الحلم

- معنى الحلم.
- الحلم في القرآن الكريم.
- حلمه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.
- حثه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على الحلم.
- مظاهر الغضب وخطورته.
- علاج الغضب.

درس الحلم

معنى الحلم:

يقول صاحب القاموس: الحلم - بالكسر - الأناة والعقل. جمعه: أحلام وحلوم. ومنه: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَآ﴾[الطور:٣٢] وهو حليم جمعه حلماء وأحلام. وقد حلم - بالضم - حلمًا وتحلم: تكلفه»[١].

والحلم خلق عظيم من أخلاق الإسلام، وهو ضبط النفس عند الغضب، وكفها عن مقابلة الإساءة بالإساءة، وتحكيم المسلم دينه وعقله عند إيذاء الآخرين له، مع قدرته على رد الإيذاء بمثله.

ويتقارب معنى الحلم مع الصبر، لذلك قد يوضع أحدهما موضع الآخر، لكنهما مع هذا الالتباس يختلفان:

فالحلم كف النفس عن الثأر، أو مقابلة الأذى بمثله. أما الصبر فهو احتمال المكروه، كفقد عزيز، أو مرض عضال أو كارثة، أو ضياع مال.

والحلم منوط بالقدرة على العقوبة أو الانتقام، على حين أن الصبر موصول بما لا طاقة به للإنسان.

والحلم نقيض الغضب، والغضب مظهر من مظاهر الثورة، وعدم الاحتمال المقرون بالتحدي أما الصبر فنقيض الجزع، والجزع سمة دالة

(١) انظر: ترتيب القاموس المحيط، مادة «حلم» ١/ ٦٠٧، وكذا مختار الصحاح المادة نفسها ص١٥٢.



على الضعف، وعدم الاحتمال المقرون بالاستسلام، والعجز عن التحدي»[1].

وقد يجتمع الحلم والصبر في بعض الأحوال، فيمكن إطلاق أحد الاسمين أو كليهما في هذه الحالة، كما في قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[آل عمران:١٨٦].

فاحتمال الأذى هنا يمكن تسميته حلمًا أو صبرًا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[النحل:١٢٦].

وترك العقوبة هنا يمكن تسميته حلمًا أو صبرًا.

الحلم في القرآن الكريم:

وردت مادة «الحلم» بالمعنى السابق في القرآن الكريم في «١٥» موضعًا.

فقد وصف الله نفسه بالحلم، وجمع بين اسمه ﴿ٱلْحَلِيمُ﴾ واسمه ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ في ست آيات: في [سورة البقرة:٢٥٥، ٢٣٥]، و [آل عمران: ١٥٥]، و[المائدة:١٠١]، و[الإسراء:٤٤]، و[فاطر:٤١].

---

(١) من أخلاق النبي ص١٥٩.

وقرن اسمه ﴿ٱلْحَلِيمُ﴾ باسمه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ في ثلاث آيات: [النساء:١٢]، [الحج:٥٩]، [الأحزاب:٥١].

وجمع بين اسمه ﴿ٱلْحَلِيمُ﴾ واسمه ﴿ٱلْغَنِىُّ﴾ في موضع واحد: [البقرة:٢٦٣].

ووصف نفسه بأنه: «الشكور الحليم» في آية واحدة: [التغابن:١٧].

يقول الإمام أبو حامد الغزالي في بيان معنى هذا الاسم: «الحليم»: «هو الذي يشاهد معصية العصاة، ويرى مخالفة الأمر، ثم لا يستفزه غضب، ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام - مع غاية الاقتدار - عجلة وطيش»[1]، ومعلوم أن الاشتراك بين الخالق والمخلوق إنما هو في اللفظ. ولكل معنى يليق به.

ووصف القرآن الخليل إبراهيم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - بالحلم فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[التوبة:١١٤] وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[هود:٧٥].

وجاه وصف سيدنا إسماعيل بالحلم، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١].

أما قبيلة «مدين» فقد قالت لنبي الله «شعيب» على جهة السخرية والاستهزاء: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[هود:٨٧].

---

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص٩٤.



كما وردت آيات قرآنية أخرى تشير إلى هذا الخلق العظيم حتى يتحلى به المسلمون قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾

[الأعراف:١٩٩].

حلمه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

وقد بلغ سيدنا رسول الله ﷺ قمة هذا الخلق العظيم، وذروة هذا الأدب الرفيع. وإليك أمثلة ونماذج:

١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً قَالَ أَنَسٌ: فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ[1]!!

أرأيت إلى هذا الحلم العظيم! وهذا الأدب الجم!

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب اللباس - باب البرود والحبرة والشملة ٧/ ١٤٦ رقم ٣١٤٩، ومسلم في صحيحه- كتاب الزكاة - باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ٣/ ١٠٣ رقم ١٠٥٧.

٢- وجاءه أعرابي يومًا يطلب منه شيئًا، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ: «أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟» قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا، وَلَا أَجْمَلْتَ. فَغَضِبَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ وَهَمُّوا أَنْ يَقُومُوا إِلَيْهِ، فَأَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ كُفُّوا، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَبَلَغَ إِلَى مَنْزِلِهِ دَعَا الْأَعْرَابِيَّ إِلَى الْبَيْتِ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّكَ جِئْتَنَا فَسَأَلْتَنَا فَأَعْطَيْنَاكَ فَقُلْتَ مَا قُلْتَ فَزَادَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا فَقَالَ: أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟» فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: نَعَمْ، فَجَزَاكَ اللهُ مِنْ أَهْلٍ وَعَشِيرٍ خَيْرًا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ كُنْتَ جِئْتَنَا فَسَأَلْتَنَا فَأَعْطَيْنَاكَ فَقُلْتَ مَا قُلْتَ وَفِي أَنْفُسِ أَصْحَابِي عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ؛ فَإِذَا جِئْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْ صُدُورِهِمْ» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَحَدَّثَنِي الْحَكَمُ أَنَّ عِكْرِمَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَلَمَّا جَاءَ الْأَعْرَابِيُّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ كَانَ جَاءَنَا فَسَأَلَنَا فَأَعْطَيْنَاهُ فَقَالَ مَا قَالَ وَإِنَّا قَدْ دَعَوْنَاهُ فَأَعْطَيْنَاهُ، فَزَعَمَ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ، أَكَذَلِكَ؟» قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: نَعَمْ، فَجَزَاكَ اللهُ مِنْ أَهْلٍ وَعَشِيرٍ خَيْرًا.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ فَشَرَدَتْ عَلَيْهِ، فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نُفُورًا، فَقَالَ لَهُمْ صَاحِبُ النَّاقَةِ خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي، فَأَنَا أَرْفَقُ بِهَا وَأَعْلَمُ بِهَا، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا صَاحِبُ النَّاقَةِ، فَأَخَذَ لَهَا مِنْ قَتَامِ الْأَرْضِ وَدَعَاهَا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَجَابَتْ، وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَاسْتَوَى عَلَيْهَا، وَإِنِّي لَوْ أَطَعْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ مَا قَالَ لَدَخَلَ النَّارَ»(١).

---

(١) أخرجه البزار في مسنده ١٥/ ٢٩٤ رقم ٨٧٩٩، من حديث أبي هريرة، وقال: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِهَذَا اللَّفْظِ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

هكذا يتسع صدر الرسول لهذا الأعرابي على ما فيه من شدة وغلظة تبدو في كلامه. وتظهر في نكرانه، ويرفض أن ينزل به الصحابة عقوبة جزاءً وفاقًا، بل يستمر حلمه حتى يرضيه بشيء أكبر من متاع الدنيا لعله يعرف يومًا أن الآخرة خير وأبقى.

٣- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي أُفًّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟»[١].

٤- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَقٌّ، فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا». فَقَالَ لَهُمْ: «اشْتَرُوا لَهُ سِنًّا فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ». فَقَالُوا: إِنَّا لَا نَجِدُ إِلَّا سِنًّا هُوَ خَيْرٌ مِنْ سِنِّهِ؟ قَالَ: «فَاشْتَرُوهُ فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَوْ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»[٢].

وهذا الرجل وإن كان له حق يطلبه إلا أنه تشدد في المطالبة، وأغلظ في الكلام. فيواجهه الرسول بحلمه الذي يدفعه إلى أن يعطيه أكثر من حقه، وينتهز الرسول الفرصة ليلقن أتباعه درسًا في الحلم، ويضع هذه القاعدة العظيمة «إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا» فليعذر الحلماء أصحاب الحقوق.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الوصايا - باب استخدام اليتيم في السفر والحضر إذا كان صلاحًا له ونظر الأم وزوجها لليتيم ٤/ ١١ رقم ٢٧٦٨، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل - باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا ٧/ ٧٣ رقم ٢٣٠٩ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الوكالة - باب وكالة الشاهد والغائب٣/ ٩٩ رقم ٢٣٠٥، ومسلم في صحيحه- كتاب البيوع - باب من استسلف شيئا فقضى خيرا منه وخيركم أحسنكم قضاء ٥/ ٥٤ رقم ١٦٠١ واللفظ له.

٥- روى أَبُو أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: «ادْنُهْ» فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ، جعلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ» قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[1].

أرأيت هذا الحلم العظيم على هذا الشاب الذي كادت تغلبه شهوته، وتتحكم فيه غريزته. حتى جاء إلى النبي يستأذنه في إشباعها بهذه الجريمة البشعة!! وكيف أخذ في إقناعه رويدًا رويدًا بشناعتها. حتى أكرمه الله، فطهر منها قلبه، وحصن له فرجه.

وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة والمربون، والعلماء والمصلحون.

٦- وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٠/ ٥٢٢٠ رقم ٢٢٦٤١.



انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلهِ»[1].

٧- وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبِضُ مِنْهَا يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ قَالَ: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ لَقَدْ خِبْتَ، وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: «مَعَاذَ اللهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي إِنَّ هَذَا، وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[2].

هكذا تتسع دائرة حلمه، حتى تشمل المنافقين، فلا ينزل به العقاب اللائق، بل يكتفي بتذكير نفسه ومن حوله بهذه الحقيقة: من يعدل إذا لم أكن أعدل، لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل!!

٨- وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأدب - باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا ٨/ ٣٠ رقم ٦١٢٦، ومسلم في صحيحه- كتاب الفضائل - باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله ٧/ ٨٠ رقم ٢٣٢٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٣/ ١٠٩ رقم ١٠٦٣، والجعرانة: مكان قريب من مكة، منصرفه من حنين: أي حين انصرافه، لا يجاوز حناجرهم: أي لا يصل إلى قلوبهم فينتفعون به أو لا يرفع لهم ثواب عمل لنفاقهم، يمرقون منه: أي يخرجون من الدين بلا شيء كخروج السهم من الرمية بلا شيء، والرمية: الصيد المرمى بالسهم.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا(١).

حثه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على الحلم:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»(٢).

٢- وسأل الصحابة قال: «فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ قَالَ: لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»(٣).

٣- وَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: مَنْ كَظَمَ غَيْظًا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع - باب كراهية السخب في السوق ٣/ ٦٦ رقم ٢١٢٥، «حرزًا» أي: حصنًا وحفظًا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأدب - باب الحذر من الغضب٨/ ٢٨ رقم ٦١١٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب ٨/ ٣٠ رقم ٢٦٠٨، والصرعة بضم الصاد وفتح الراء: هو الذي يصرع الناس كثيرًا بقوته، وأما الصرعة بسكون الراء: فهو الضعيف الذي يصرعه الناس.

وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ الْعِينِ شَاءَ»(١).

وفي رواية: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى إِنْفَاذِهِ مَلَأَهُ اللهُ تَعَالَى كَذَا أَمْنًا وَإِيمَانًا»(٢).

٤- وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ آوَاهُ اللهُ فِي كَنَفِهِ، وَسَتَرَ عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ، وَأَدْخَلَهُ فِي مَحَبَّتِهِ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا قَدَرَ غَفَرَ، وَإِذَا غَضِبَ فَتَرَ»(٣).

٥- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا صَلَاةَ الْعَصْرِ بِنَهَارٍ، ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا أَخْبَرَنَا بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، فَكَانَ فِيمَا حَفِظْنَا يَوْمَئِذٍ: أَلَا إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى، فَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَا كَافِرًا وَيَمُوتُ كَافِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ كَافِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَا كَافِرًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمُ الْبَطِيءَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفَيْءِ، وَمِنْهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الْفَيْءِ، فَتِلْكَ بِتِلْكَ، أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمْ سَرِيعَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفَيْءِ، أَلَا وَخَيْرُهُمْ بَطِيءُ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأدب - باب من كظم غيظا ٤/ ٣٩٤ رقم ٤٧٧٧.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٥/ ١٠٩ رقم ٢٦٤٩.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب العلم - ثلاثة من كن فيه آواه الله في كنفه ١/ ١٢٥ رقم ٤٣٢، من رواية ابن عباس، وقال: صحيح الإسناد.



الْغَضَبِ سَرِيعُ الْفَيْءِ، أَلَا وَشَرُّهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ بَطِيءُ الْفَيْءِ، أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمْ حَسَنَ الْقَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ، وَمِنْهُمْ سَيِّئُ الْقَضَاءِ حَسَنُ الطَّلَبِ، وَمِنْهُمْ حَسَنُ الْقَضَاءِ سَيِّئُ الطَّلَبِ فَتِلْكَ بِتِلْكَ، أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمُ السَّيِّئَ الْقَضَاءِ السَّيِّئَ الطَّلَبِ، أَلَا وَخَيْرُهُمُ الْحَسَنُ الْقَضَاءِ الْحَسَنُ الطَّلَبِ، أَلَا وَشَرُّهُمْ سَيِّئُ الْقَضَاءِ سَيِّئُ الطَّلَبِ، أَلَا وَإِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ، فَمَنْ أَحَسَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلْصَقْ بِالْأَرْضِ»[1].

مظاهر الغضب وخطورته:

الغضب غريزة بشرية شأنها شأن باقي الغرائز التي أودعها الله في الإنسان، لتؤدي دورها الذي خلقت من أجله، ولها اتصالها الواضح بغريزتين أخريين هما: الحب والكره، فإنها تتبعهما.

وإذا كان ما حول الإنسان فيه ما يوافق غرضه، وفيه ما يخالفه، فلا بد له من حب ما يوافقه، وكراهية ما يخالفه، فإذا أخذ منه ما يحبه، أو حدث له ما يكرهه، ظهرت غريزة الغضب في الحالتين.

فالإنسان لا بد أن يغضب، ولا نستطيع تجاهل وجود هذه الغريزة في النفس البشرية، ولا يمكن القضاء عليها واستئصالها، فلا بد منها في تكوين الإنسان وحياته.

ومنهج الإسلام في مثل هذه الغرائز أنه لا يكبتها، ولا يصادمها.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة ٤/ ٥٨ رقم ٢١٩١، وقال: حديث حسن.



كيف وقد غرزها الله في الإنسان لتقوم بوظائف مطلوبة لحياة الإنسان، وتعمير هذا الكون. إن الإسلام يسير بها نحو الاعتدال بتقديم التوجيهات التي تصل بها إلى المستوى المطلوب.

وهذه الغريزة لو نقصت عن معدلها المنشود، أبدت آثارًا لا تتفق مع الإسلام، فتجد الشخص لا يغار على أهل بيته، ولا يغار على محارم الله إذا انتهكت، ويسكت عندما يرى ذلك، وتتبلد أحاسيسه، وتتجمد مشاعره، ويرضى بالذل والهوان، ويقنع بالضعف والخذلان، ويستسلم للمهانة والحرمان.

وإذا زادت هذه الغريزة عن معدلها المطلوب، واستخدمت في غير موضعها المنشود. جرت إلى التهور وارتكاب المعاصي والمخالفات الشرعية.

فلا بد من وجود قدر محمود من الغضب لدى كل إنسان، ولا تتحقق بشرية الإنسان بدون هذه الغريزة، ولا يمكننا أن نتصور بشرًا لا يغضب، ولو تصور ذلك لبشر «لتصور لرسول الله ﷺ»، فإنه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه، حتى قال: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، وَإِنِّي قَدِ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً، وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ٨/ ١٣٩ رقم ٢٨١٥.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: يا رسول الله، أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا؟ فقال: اكتب، فو الذي بعثني بالحق نبيًا، ما يخرج منه إلا حق» وأشار إلى لسانه، فلم يقل: إني لا أغضب، ولكن قال: إن الغضب لا يخرجني عن الحق، أي: لا أعمل بموجب الغضب.

وغضبت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرة، فقال لها رسول الله ﷺ: «غضِبت عَائِشَة فَقَالَ النَّبِي ﷺ «مَا لَك جَاءَكِ شَيْطَانك» فَقَالَت: وَمَا لَك شَيْطَان؟ قَالَ «بلَى، وَلَكِنِّي دَعَوْت الله فَأَعَانَنِي عَلَيْهِ فأسلمَ، فَلَا يَأْمُرنِي إِلَّا بِالْخَير»[1]. ولم يقل: لا شيطان لي، وأراد شيطان الغضب، لكن قال: لا يحملني على الشر.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا، وَلَا مَا كَانَ لَهَا، فَإِذَا تُعُدِّيَ الْحَقُّ لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ»[2].

إذن لابد للإنسان من الغضب، لكن عليه أن يكبح جماحه، ويتحكم في غريزته، حتى لا تظهر آثاره الخطيرة، ومظاهره الوبيلة.

ويتحدث الإمام أبو حامد الغزالي عن هذه الآثار، وتلك المظاهر فيقول: «**وأما آثار هذا الغضب في الظاهر**: تغير اللون، وشدة الرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام: واضطراب الحركة والكلام، حتى يظهر الزبد على الأشداق، وتحمر الأحداق، وتنقلب المناظر، وتستحيل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والآداب - باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه ٨/ ٢٥ رقم ٢٦٠١.

(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية- باب كيف كان كلام رسول الله ﷺ ١/ ١٣٣ رقم ٢٢٥.



الخلقة، ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته، لسكن غضبه حياه من قبح صورته، واستحالة خلقته، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره، فإن الظاهر عنوان الباطن، وإنما قبحت صورة الباطن أولًا، ثم انتشر قبحها إلى الظاهر، ثانيًا، فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن، فقس الثمرة، فهذا أثره في الجسد.

وأما أثره في اللسان، فانطلاقه بالسب والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل، ويستحي منه قائله عند فتور الغضب، وذلك مع تخبط النظم، واضطراب اللفظ.

أما أثره على الأعضاء: فالضرب، والتهجم، والتمزيق، والقتل، والجرح عند التمكن من غير مبالاة، فإن هرب منه المغضوب عليه: أو فاته بسبب، وعجز عن التشفي، رجع الغضب على صاحبه، فمزق ثوب نفسه، ويلطم نفسه، وقد يضرب بيده على الأرض، ويعدو عدو الواله السكران، والمدهوش المتحير «وربما يسقط سريعًا، لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب، ويعتريه مثل الغشية، وربما يضرب الجمادات والحيوانات، فيضرب القصعة مثلًا على الأرض، وقد يكسر المائدة إذا غضب عليها، ويتعاطى أفعال المجانين، فيشتم البهيمة والجمادات، ويخاطبها ويقول: إلى متى منك هذا يا كيت وكيت؟ كأنه يخاطب عاقلًا، حتى ربما رفسته دابة، فيرفس الدابة، ويقابلها بذلك.

وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه، فالحقد، والحسد، وإضمار السوء، والشماتة بالمساءات، والحزن بالسرور، والعزم على إفشاء السر،

وهتك الستر، والاستهزاء، وغير ذلك من القبائح، فهذه ثمرة الغضب المفرطة»[1].

هكذا يشرح لنا الإمام أبو حامد الغزالي ما يمكن أن يفعله الغضب بالإنسان إذا لم يتمكن من السيطرة التامة على هذه الغريزة الخطيرة.

علاج الغضب:

ويمكن أن نقسم وسائل العلاج إلى نوعين:

١- وسائل العلاج النظرية:

أ- البعد عن أسباب الغضب: فلا يتكبر الإنسان على خلق الله، فما هو إلا حفنة من تراب، ولا يعجب بنفسه، بل يتواضع لله، ولا يفتخر بحسبه أو نسبه، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، ولا يكثر من الهزل والمزاح، بل يستثمر وقته فيما يفيد، فما الحياة إلا ساعة يعقبها ممات، ولا يعير أحدًا بما فيه خشية أن يعافيه الله ويبتليه.

ب- أن يذكر نفسه بما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة، من مدح للحلم وأهله.

جـ- أن يعلم أن قدرة الله عليه أقوى من قدرته على الشخص المغضوب عليه، فليخف من غضب الله عليه، وعقابه له.

(١) إحياء علوم الدين ٩/ ١٦٤٣.



د- أن يتصور شكله ومنظره عند ثورته وغضبه، وعساه يستحي ويخجل، ويجنح إلى الحلم وكظم الغيظ.

٢- وسائل العلاج العملية:

أ- الاستعاذة: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا هَذَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»(١).

ب- الدعاء الذي علمه النبي لعائشة: كان رسول الله ﷺ إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها، وقال: يا عويش قولي: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي، وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ»(٢).

جـ- أن يلزم الصمت بعد ذلك: فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلِّمُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ»(٣).

د- الجلوس أو الاضطجاع: فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده ٤/ ١٢٤ رقم ٣٢٨٢، ومسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب ٨/ ٣٠ رقم ٢٦١٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٢/ ٦٤١٨ رقم ٢٧٢١٩.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٥٣١ رقم ٢١٦٨.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأدب - باب ما يقال عند الغضب ٤/ ٣٩٥ رقم ٤٧٨٢.

هـ- الوضوء أو الاغتسال: عَنْ أَبِي وَائِلِ الْقَاصِّ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُرْوَةَ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّعْدِيِّ، فَكَلَّمَهُ رَجُلٌ فَأَغْضَبَهُ فَقَامَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَجَعَ وَقَدْ تَوَضَّأَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي عَطِيَّةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»[1].

وفي رواية: «فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْتَسِلْ»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأدب - باب ما يقال عند الغضب ٤/ ٣٩٦ رقم ٤٧٨٤.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٣٠ عن معاوية بن أبي سفيان.

الفصل السابع

درس الصبر

- معنى الصبر.
- الصبر في القرآن الكريم.
- صبره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.
- تعليمه الصحابة الصبر.
- أقسام الصبر.
- الصبر والشكوى.

درس الصبر

معنى الصبر:

الصبر في اللغة: حبس النفس عن الجزع، والتصبر: تكلف الصبر، والصبر - بكسر الباء - الدواء المر، وهو عصارة شجر مر، وأصبره: أمره بالصبر، وشهر الصبر: شهر الصوم[1].

وقيل: أصل الكلمة من الشدة والقوة، ومنه الصبر للدواء المعروف لشدة مرارته وكراهته، قال الأصمعي: إذا لقي الرجل الشدة بكمالها قيل لقيها بأصبارها. ومنه الصبر - بضم الصاد - للأرض ذات الخصب لشدتها وصلابتها.

قيل: مأخوذ من الجمع والضم، فالصابر يجمع نفسه ويضمها عن الهلع والجزع، ومنه صبرة الطعام.

والتحقيق أن في الصبر المعاني الثلاثة: المنع، والشدة، والضم»[2] وعكس الصبر الجزع.

وقد ذكر العلماء تعريفات كثيرة للصبر نذكر منها:

١- تجرع المرارة من غير تعبس.

٢- الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

---

(١) انظر مختار الصحاح مادة «ص - ب - ر» ص٣٥٤، وترتيب القاموس ٣/ ٧٢٨.

(٢) عدة الصابرين لابن القيم ص١٠-١١ بتصرف.

٣- الثبات على أحكام الكتاب والسنة.

٤- ترك الشكوى.

٥- أن لا يفرق بين حال النعمة والمحنة، مع سكون الخاطر فيهما(١).

والتعريفان الأولان قاصران، لأنهما لا يشملان جميع أنواع الصبر التي سنذكرها إن شاء الله.

والتعريف الثالث لا يعطي دلالة دقيقة لمفهوم الصبر لعمومه.

والتعريف الرابع تعريف بلازم من لوازم الصبر، مع جواز الشكوى إلى الله تعالى كما قال يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]، وكما قال سيدنا محمد: «اللهم أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس».

أما التعريف الخامس، فيكاد يكون مستحيل التحقيق، لأنه ينافي طبع الإنسان وتكوينه النفسي مهما بلغ من الإيمان، فإنه يفرق بين حال النعمة، وحال المحنة.

ويعرف الغزالي الصبر بأنه «عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى»(٢).

وهذا التعريف أدق من التعريفات السابقة. إن باعث الهوى قد يدفع

---

(١) انظر الرسالة القشيرية ١/ ٢٩٧، وعدة الصابرين ص١١، وبصائر ذوي التمييز ٣/ ٣٧١.
(٢) الإحياء ١٢/ ٢١٧٦.

الإنسان إلى التكاسل عن أداء الطاعات، أو إلى فعل المنهيات، أو إلى الضجر والجزع عند الابتلاء. فيقاومه باعث الدين.

فالصبر هو حمل النفس على أداء الطاعات، واجتناب المنهيات، وتقبل البلاء برضا وتسليم، والصبور من أسماء الله الحسنى وهو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه[1]، وفي الحديث: «لَيْسَ أَحَدٌ أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»[2].

الصبر في القرآن الكريم:

وردت مادة «الصبر» في القرآن الكريم «١٠٣» مرات بصيغ مختلفة، ومن خلال الآيات التي عرضت للصبر نجد ما يأتي:

١ - أمر الله تعالى بالصبر فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:١٥٣] وقال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل:١٢٧] ونهى عن ضده فقال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف:٣٥] وقال: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال:١٥] لأن توليتهم الأدبار ترك للصبر والمصابرة، وقال: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران:١٣٩].

---

(١) المقصد الأسنى ص١٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأدب - باب الصبر على الأذى ٨/ ٢٥ رقم ٦٠٩٩، ومسلم في صحيحه- كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل ٨/ ١٣٣ رقم ٢٨٠٤ من حديث أبي موسى الأشعري.

٢- بين أن الصبر من أخلاق الرسل: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام:٣٤].

٣- أوضح أن الصابرين هم الذين ينتفعون بالآيات، ويدركون العبر: قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى:٣٢-٣٣]. وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم:٥]، وقال: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ:١٩].

٤- الصبر من أسباب الفلاح، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[آل عمرن:٢٠٠].

٥- وهو من أهم عوامل النصر والمدد من الله: قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٥] وقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[الأنفال:٦٦] وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠].

٦- ويجعل الله الصابرين أئمة في الدين: قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة:٢٤].

٧- وأخبر تعالى أنه يحبهم: قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

٨- وذكر أنه معهم بحفظه وتأييده: قال تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]، وقال: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة:٢٤٩].

٩- وبشرهم بالخير العام، وجمع لهم ما لم يجمعه لغيرهم: قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] نجمع لهم الصلوات، والرحمة، والهدى.

١٠- أما عن نتيجة الصبر يوم القيامة: فقد قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص:٥٤] وقال: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون:١١١] وقال: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان:٧٥] وقال: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٥] وقال: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٢] وقال عزّوجلّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[الزمر:١٠] وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣-٢٤].

صبره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

١- صبر على الحرب الكلامية التي وجهها إليه المشركون بمجرد إخبارهم ببعثته، وذلك ليصرفوا الناس عن اتباعه، فرموه بالكذب، والكهانة والجنون، والشعر، والسحر، فصبر لذلك كله.

٢- وصبر في المعارك الحربية التي شنها أعداء الإسلام حتى كان مضرب الأمثال في هذه الغزوات، ولن ينسى التاريخ موقفه في غزوة حنين وصبره فيها.

٣- وصبر على أذى بعض أصحابه، كما في حادث الإفك، وكما روى البخاري عن عبد الله قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قِسْمَةً كَبَعْضِ مَا كَانَ يَقْسِمُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: وَاللهِ إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، قُلْتُ: أَمَّا أَنَا لَأَقُولَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ فَسَارَرْتُهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَغَضِبَ، حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَخْبَرْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: «قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري صحيحه- كتاب الأدب - باب الصبر على الأذى ٨/ ٢٥ رقم ٦١٠٠، ومسلم في صحيحه- كتاب الزكاة - باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه ٣/ ١٠٩ رقم ١٠٦٢.



٤- وصبر على آلام المرض، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»، فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَجَلْ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مَرَضٌ، فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»[2].

٥- وصبر على موت أحبابه. كما صبر على وفاة زوجته خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقد قدر الله موت أبنائه الذكور جميعًا في حياته، ولم يبق بعده من بناته إلا فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقد تقدم حديث موت ابنه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١) أخرجه البخاري صحيحه- كتاب المرضى - باب شدة المرض ٧/ ١١٥ رقم ٥٦٤٦، ومسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والآداب - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ٨/ ١٣ رقم ٢٥٧٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المرضى - باب وضع اليد على المريض ٧/ ١١٨ رقم ٥٦٦٠، ومسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والآداب - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ٨/ ١٤ رقم ٢٥٧١.

تعليمه الصحابة الصبر:

١ - علمهم الصبر من أجل هذا الدين، والتضحية في سبيله: عَنْ خَبَّابِ ابْنِ الْأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(١).

وَعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَلَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا؟ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»(٢).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الإكراه - باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر٩/ ٢٠ رقم ٦٩٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب مناقب الأنصار - باب قول النبي للأنصار اصبروا حتى تلقوني على الحوض ٥/ ٣٣ رقم ٣٧٩٢، ومسلم في صحيحه- كتاب الإمارة - باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم ٦/ ١٩ رقم ١٨٤٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه- أبواب الفتن - باب الصبر على البلاء ٥/ ١٦٠ رقم ٤٠٣٢.

٢- وعلمهم الصبر على الأمراض والأسقام: فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيِّبِ فَقَالَ: «مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيِّبِ تُزَفْزِفِينَ؟» قَالَتِ: الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا فَقَالَ: «لَا تَسُبِّي الْحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»(١).

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، «فَدَعَا لَهَا»(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا أَخْبَرَتْنَا أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ «أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ»(٣).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا يُصِيبُ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والآداب - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ٨/ ١٦ رقم ٢٥٧٥، «تزفزين» أي: تتحركين بشدة ورعدة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المرضى - باب فضل من يصرع من الريح ٧/ ١١٦ رقم ٥٦٥٢، ومسلم في صحيحه-. كتاب البر والصلة والآداب - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ٨/ ١٦ رقم ٢٥٧٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الطب، باب أجر الصابر على الطاعون ١٧٥/٤ رقم ٥٧٣٤.



الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهِمُّهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»[1].

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِذَا ابْتَلَيْتُهُ بِحَبِيبَتَيْهِ - يُرِيدُ عَيْنَيْهِ - ثُمَّ صَبَرَ عَوَّضْتُهُ الْجَنَّةَ»[2].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَمْرَضُ، إِلَّا كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ وَهُوَ صَحِيحٌ»[3].

وقال ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَهُ السَّقَمُ، ثُمَّ أَعْفَاهُ اللهُ مِنْهُ كَانَ كَفَّارَةً لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ، وَمَوْعِظَةً لَهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا مَرِضَ، ثُمَّ أُعْفِيَ كَانَ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ، ثُمَّ أَرْسَلُوهُ، فَلَمْ يَدْرِ لِمَ عَقَلُوهُ، وَلَمْ يَدْرِ لِمَ أَرْسَلُوهُ»[4].

٣- وعلمهم الصبر عند موت الأهل والأحباب، والاسترجاع عند ذلك:
عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المرضى - باب ما جاء في كفارة المرض ٧/ ١١٤ رقم ٥٦٤١، ومسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والآداب - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ٨/ ١٦ رقم ٢٥٧٣، والوصب: الوجع اللازم، والنصب: التعب.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد- بَابُ الْعِيَادَةِ مِنَ الرَّمَدِ ١/ ١١٨ رقم ٥٣٤.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد- بَابُ يُكْتَبُ لِلْمَرِيضِ مَا كَانَ يَعْمَلُ وَهُوَ صَحِيحٌ ١/ ١٧٦ رقم ٥٠٠.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الجنائز - باب الأمراض المكفرة للذنوب ٣/ ١٤٩ رقم ٣٠٨٩.



وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ»(١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي». قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي. وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»(٣).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الصَّمْتَ عِنْدَ ثَلَاثٍ؛ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَعِنْدَ الزَّحْفِ، وَعِنْدَ الْجِنَازَةِ»(٤).

٤- وعلمهم الصبر على جميع أنواع البلاء الأخرى: وَعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة ٣/ ٣٧ رقم ٩١٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجنائز - باب زيارة القبور ٢/ ٧٩ رقم ١٢٨٣، ومسلم في صحيحه- كتاب الجنائز - باب في الصبر على المصيبة عند أول الصدمة ٣/ ٤٠ رقم ٩٢٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجنائز - باب ليس منا من شق الجيوب ٢/ ٨١ رقم ١٢٩٤، ومسلم في صحيحه- كتاب الإيمان - باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية ١/ ٦٩ رقم ١٠٣.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٥/ ٢١٣ رقم ٥١٣٠ عن زيد بن أرقم.



إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١).

وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»(٢).

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «يقول البلاء كل يوم: إلى أين أتوجه؟ فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: إلى أحبائي وأولي طاعتي، أبلو بك أخبارهم، وأختبر صبرهم، وأمحص بك ذنوبهم، وأرفع بك درجاتهم.

وَيَقُولُ الرَّخَاءُ كُلَّ يَوْمٍ: إِلَى أَيْنَ أَتَوَجَّهُ؟ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «إِلَى أَعْدَائِي، وَأَهْلِ مَعْصِيَتِي، أَزِيدُ بِذَلِكَ طُغْيَانَهُمْ، وَأُضَاعِفُ بِذَلِكَ ذُنُوبَهُمْ، وَأُعَجِّلُ بِكَ لَهُمْ، وَأُكَثِّرُ بِكَ عَلَى غَفْلَتِهِمْ»(٣).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِالشَّهِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْصَبُ لِلْحِسَابِ، وَيُؤْتَى بِالْمُتَصَدِّقِ فَيُنْصَبُ لِلْحِسَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِأَهْلِ الْبَلَاءِ، وَلَا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الزهد والرقائق - باب المؤمن أمره كله خير ٨/ ٢٢٧ رقم ٢٩٩٩.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٣٧٠ رقم ١٤٩٩.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الكبير ١٣/ ٣١٤ رقم ١٥٧١، وقال: الديلمى عن أنس.

يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ، وَلَا يُنْشَرُ لَهُمْ دِيوَانٌ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرُ صَبًّا حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْعَافِيَةِ لَيَتَمَنَّوْنَ فِي الْمَوْقِفِ أَنَّ أَجْسَادَهُمْ قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ؛ مِنْ حُسْنِ ثَوَابِ اللهِ لَهُمْ»(١).

أقسام الصبر:

ويقدم لنا الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة تقسيمات للصبر باعتبارات مختلفة، فهو يقسمه باعتبار محله إلى ضربين: ضرب بدني، وضرب نفسي. وكل منهما نوعان: اختياري واضطراري. **فهذه أربعة أقسام:**

الأول: البدني الاختياري، كتعاطي الأعمال الشاقة على البدن اختيارًا.

والثاني: البدني الاضطراري، كالصبر على ألم الضرب والمرض. والبرد والحر.

والثالث: النفساني الاختياري، كصبر النفس على فعل ما لا يحسن فعله شرعًا ولا عقلًا.

والرابع: النفساني الاضطراري، كصبر النفس عن محبوبها قسرًا إذا حيل بينها وبينه.

ويقسمه باعتبار متعلقه إلى ثلاثة أقسام:

- صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها.
- وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ١٨٢ رقم ١٢٨٢٩ عن ابن عباس.

- وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها.

ويقسمه باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به إلى: واجب، ومندوب، ومحظور، ومكروه، ومباح.

فالصبر الواجب ثلاثة أنواع: أحدها: الصبر عن المحرمات، والثاني: الصبر على أداء الواجبات، والثالث: الصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها، كالأمراض والفقر وغيرها.

وأما الصبر المندوب: فهو الصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات، والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله.

وأما المحظور فأنواع: أحدها الصبر عن الطعام والشراب حتى يموت، وكذلك الصبر عن الميتة والدم ولحم الخنزير عند المخمصة حرام إذا خاف بتركه الموت. قال طاوس ومن بعده الإمام أحمد: من اضطر إلى أكل الميتة والدم فلم يأكل فمات، دخل النار.

ومن الصبر المحظور: صبر الإنسان على ما يقصد هلاكه من سبع أو حيات أو حريق أو ماء أو كافر يريد قتله.

وأما الصبر المكروه؟ فله أمثلة:

أحدها: أن يصبر عن الطعام والشراب واللبس وجماع أهله حتى يتضرر بدنه.

الثاني: صبره عن جماع زوجته إذا احتاجت إلى ذلك، ولم يتضرر به.



الثالث: صبره على المكروه.

الرابع: صبره عن فعل المستحب.

وأما الصبر المباح: فهو الصبر عن كل فعل مستوي الطرفين خير بين فعله وتركه والصبر عليه.

وبالجملة فالصبر على الواجب واجب، وعن الواجب حرام. والصبر عن الحرام واجب، وعليه حرام، والصبر على المستحب مستحب، وعنه مكروه، والصبر عن المكروه مستحب، وعليه مكروه، والصبر عن المباح مباح، والله أعلم[1].

الشكوى والصبر:

إذا اشتكى الصابر على البلاء، فهل هذا ينافي صبره؟

وردت بعض الأحاديث يفهم عنها تعارض الشكوى مع الصبر، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ، وَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عُوَّادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ أَسَارِي، ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ»[2].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ

---

(١) عدة الصابرين ص١٧ وما بعدها.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه- كتاب الجنائز - المريض يكتب له من الخير ما كان يعمل في الصحة ١/ ٣٤٨ رقم ١٢٩٤.



فِي مَالِهِ أَوْ جَسَدِهِ فَكَتَمَهَا فَلَمْ يَشْكُهَا إِلَى النَّاسِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ»[1].

ووردت أحاديث أخرى يفهم منها جواز الشكوى، وأنها لا تنافي الصبر، فقد اشتكت السيدة عائشة، وقالت: وارأساه. وقالها الرسول ﷺ عندما اشتد به الوجع: وقد كان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يسأله عن حاله، ويقول: كيف تجدك؟ وعندما زار الرسول سعدًا قال سعد: يا رسول الله، قد اشتد بي الوجع، وأنا ذو مال ... إلخ.

ولا تعارض بين هذه النصوص، لأن الشكوى إذا كانت إخبارًا عن الحال والواقع بلا تبرم ولا تسخط ولا ضجر جازت عندئذ، أما إذا كان فيها شيء من هذا، فإنها تعارض الصبر حينئذ، وفرق بين من يشكو الله إلى عواده، ومن يشكو إلى الله جل في علاه.

قال سيدنا يعقوب ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ [الأنبياء:٨٣].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما كان الصبر حبس اللسان عن الشكوى إلى غير الله، والقلب عن التسخط، والجوارح عن اللطم وشق الثياب ونحوها، كان ما يضاده واقعًا على هذه الجملة، فمنه الشكوى إلى المخلوق، فإذا شكا

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ١٨٤ رقم ١١٤٣٨.



العبد ربه إلى مخلوق مثله، فقد شكا من يرحمه إلى من لا يرحمه، ولا تضاده الشكوى إلى الله. كما تقدم في شكاية يعقوب إلى الله مع قوله ﴿فَصَبۡرٌ جَمِيلٌ﴾.

وأما إخبار المخلوق بالحال، فإن كان للاستعانة بإرشاده، أو معاونته، والتوصل إلى زوال ضرره، لم يقدح ذلك في الصبر، كإخبار المريض للطبيب بشكايته، وإخبار المظلوم لمن ينتصر به بحاله، وإخبار المبتلى ببلائه، لمن كان يرجو أن يكون فرجه على يديه..»[1].

نتبين من ذلك أن الشكوى تجوز في بعض الأحوال، وتعارض الصبر في أحوال أخرى، والله أعلم.

(١) عدة الصابرين ص٢٦٩.



أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
- الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية للمناوي - المكتبة المنيرية.
- إحياء علوم الدين للغزالي - دار الشعب.
- الأخلاق لأحمد أمين - دار الكتب المصرية.
- أخلاق العلماء لأبي بكر الآجري - دار الكاتب العربي.
- الأدب المفرد للإمام البخاري.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر - الكليات الأزهرية.
- الإسلام والإيمان للدكتور عبد الحليم محمود - دار الكتب الحديثة.
- الإسلام والعقل له - دار الكتب الحديثة.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر - الكليات الأزهرية.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي - مكتبة الجمهورية.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي -المكتبة العلمية، بيروت.
- تأملات في فلسفة الأخلاق - منصور علي رجب - الأنجلو المصرية.
- تاريخ النظريات الأخلاقية، لأبي بكر ذكرى - دار الفكر العربي.
- ترتيب القاموس المحيط - طاهر الراوي - مطبعة الرسالة.
- الترغيب والترهيب للمنذري - دار الفكر.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير - مطبعة مصطفى محمد.
- التفسير الكبير للرازي - دار إحياء التراث العربي.
- التفكير الفلسفي في الإسلام، د. عبد الحليم محمود - دار الكتب الحديثة.



- تهذيب الأخلاق لابن مسكويه - محمد صبيح.
- الجامع الكبير للسيوطي - الهيئة المصرية العامة.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - دار الشعب.
- الخلق الكامل - محمد أحمد جاد المولى - المكتبة التازية.
- خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي - دار الكتب الحديثة.
- دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد عبد الله دراز - مؤسسة الرسالة.
- السراج المنير للعزبزي، شرح الجامع الصغير - المطبعة الأزهرية.
- السرقة الموجبة للقطع - عبد الفتاح أبو العينين - مطبعة الأمانة.
- سنن ابن ماجه - دار الفكر العربي.
- سنن أبي داود - دار الحديث.
- سنن الترمذي - دار إحياء التراث العربي.
- سنن النسائي - دار الكتاب العربي.
- سيرة ابن هشام - محمد صبيح.
- شرح الإمام النووي على صحيح مسلم - المطبعة المصرية.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض - دار التراث.
- صحيح الإمام البخاري - دار الشعب.
- صحيح الإمام مسلم - عيسى الحلبي.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم - مكتبة المتنبي.
- فتح الباري لابن حجر - السلفية.
- فلسفة الأخلاق عند ابن مسكويه - د. عثمان عيش - الكليات الأزهرية.
- في علم الأخلاق - محمد السيد نعيم - شركة الطباعة الفنية.

- الكامل في التاريخ لابن الأثير - دار الكتاب العربي.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين المتقي الهندي.
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - محمد فؤاد عبد الباقي - عيسى الحلبي.
- مختار الصحاح لأبي بكر الرازي - المطبعة الأميرية.
- مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام - أنور الجندي - مجمع البحوث الإسلامية.
- المغني عن حمل الأسفار للحافظ العراقي - دار الشعب.
- مكارم الأخلاق لأبي بكر الخرائطي - السلفية.
- من أخلاق النبي - د. أحمد الحوفي - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

فهرس الكتاب

الفصل الثالث

ارتباط الأخلاق بالعقيدة والعبادات

الفصل الرابع

الخلق والتخلق

الفصل الخامس

حماية أخلاقنا



الباب الثاني
في الدروس العملية
الفصل الأول
در الرحمة

الفصل الثاني
دروس الحياء والعفة



الفصل الثالث

درس الصدق

الفصل الرابع

درس الأمانة

الفصل الخامس

درس العدل

الفصل السادس

درس الحلم

الفصل السابع

درس الصبر





Amiria
المطابع الأميرية